تَأَخُّرُ وُصُولِ العِلْمِ الشَّرْعِيّ

والثَّقَافَةِ الدِّينيَّة إلى بِلادِ أُوربَّا وغيرها من بلادِ الأعَاجِم

أثَرُه - وأسْبَابُه - وعِلَاجُه

تأليف
أبي يحيى
محمد بن عبده

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

حقوق الطبع محفوظة ، لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه
بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه فى أي نظام ميكانيكي
أو إلكتروني يمكّن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه .
ولا يسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى
دون الحصول على إذن خطي مسبق من المؤلف .

الطبعة الثانية

١٤٤٥هـ / ٢٠٢٤م

رقم الإيداع

ديباجة الكتاب

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٩ .

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ ﴾ محمد.

وأخرج الحاكم عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ عُمَرُ الشَّامَ لَقِيَهُ الْجُنُودُ وَعَلَيْهِ إِزَارٌ وَخُفَّانِ وَعِمَامَةٌ وَهُوَ آخِذٌ بِرَأْسِ بَعِيرِهِ يَخُوضُ الْمَاءَ، فَقَالَ لَهُ - يَعْنِي قَائِلٌ - يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَلْقَاكَ الْجُنُودُ وَبَطَارِقَةُ الشَّامِ وَأَنْتَ عَلَى حَالِكَ هَذَا؟ فَقَالَ عُمَرُ: «إِنَّا قَوْمٌ أَعَزَّنَا اللهُ بِالْإِسْلَامِ، فَلَنْ نَبْتَغِيَ الْعِزَّةَ بِغَيْرِهِ »(١).

وفى رواية : عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، قَالَ: خَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٤١) ط عوامة، وهناد فى « الزهد»(٧/ ٨)، والحاكم (١/ ٦٢) بإسنادٍ صحيحٍ .

الشَّامِ وَمَعَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فَأَتَوْا عَلَى مَخَاضَةٍ[1] وَعُمَرُ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ فَنَزَلَ عَنْهَا وَخَلَعَ خُفَّيْهِ فَوَضَعَهُمَا عَلَى عَاتِقِهِ، وَأَخَذَ بِزِمَامِ نَاقَتِهِ فَخَاضَ بِهَا الْمَخَاضَةَ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ تَفْعَلُ هَذَا، تَخْلَعُ خُفَّيْكَ وَتَضَعُهُمَا عَلَى عَاتِقِكَ، وَتَأْخُذُ بِزِمَامِ نَاقَتِكَ، وَتَخُوضُ بِهَا الْمَخَاضَةَ؟ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ أَهْلَ الْبَلَدِ اسْتَشْرَفُوكَ، فَقَالَ عُمَرُ: «أَوَّهْ لَمْ يَقُلْ ذَا غَيْرُكَ أَبَا عُبَيْدَةَ جَعَلْتُهُ نَكَالًا لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ فَأَعَزَّنَا الله بِالْإِسْلَامِ فَمَهْمَا نَطْلُبُ الْعِزَّةَ بِغَيْرِ مَا أَعَزَّنَا الله بِهِ أَذَلَّنَا الله »[2].

(١) المخاضة: بركة أو نهر به ماء يمر المار منه.

(٢) عند الحاكم (١/ ٦١ ، ٦٢) وإسناده ثابت أيضاً .

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنا ، مَن يهده الله تعالى فلا مضل لـه، ومَن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسوله ﷺ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (آل عمران:١٠٢) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ (النساء:١) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ (الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١) .

وبعد ..

فإن أصدَق الكلامِ كلامُ الله، وخيرَ الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ.

ثم أما بعد ..

فإن لتأخُّر العلم، والثقافة الدينية الإسلامية في بلاد العجم أسباب ينبغي معرفتها، لتوقِّي ما يعوق سبيل التقدُّم في رفعة الدرجات التي وعد الله بها في قوله: ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ ﴿١١﴾ ﴾ المجادلة: ١١.

فالعلم الشرعي في بلاد الأعاجم قليل، والانحراف عن مساره واسع، ثم الذين على نهج أصحاب النبي ﷺ أقل من القليل فيهم.

بل السائد عند كثير من مسلمي العرب الذين يقيمون في بلاد الكفر يغلب علي كثير منهم قِلَّة الثقافة بدين الإسلام، وضعف الاطلاع، فضلًا عن التأصيل العلمي عند جُلِّهم- إلا من رحم الله- وقليل ما هم.

فكيف يكون مستوى الضعف عند مسلمي الأعاجم الذين لا يجيدون اللغة العربية أصلًا ؟

وأسأل الله تعالى أن يفقهني وإخواني الأعاجم في ديننا، وأن يجعل

هذه الكتابة مُوقظة لنا على التفقُّه في الدين، وطرح الشواغل عنه جانبًا حتى نكون ممن أراد الله بهم خيرًا.

فالله سبحانه يعطي الدنيا والمال لمن يحب ومن لا يحب، ولكن لا يعطي الفقه في دينه إلا لمن أراد به خيرًا .

أؤكِّد أن العلم والفقه في الدين لا يعطيه الله غالبًا إلا لمن أراد به خيرًا.

فقد قال رسول الله ﷺ:« **مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ** ». أخرجه البخاري ومسلم.

ولقد ضرب الله مثلًا لمن فقه في دين الله ورفع رأسًا بما بُعث به محمد ﷺ، ومثلًا لعكسه الذي لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أرسله به فقال ﷺ: « **مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ**

بِهِ».أخرجه البخاري ومسلم .

والنَّاسُ إِلَى الْعِلْمِ أَحْوَجُ مِنْهُمْ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ. لِأَنَّ الرَّجُلَ يَحْتَاجُ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فِي الْيَوْمِ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ. وَأما حَاجَتُهُ إِلَى الْعِلْمِ فبِعَدَدِ أَنْفَاسِهِ.

والْعلم طَعَام الْقلب وَشَرَابه ودواؤه وحياته مَوْقُوفَة على ذَلِك فَإِذا فقد الْقلب الْعلم فَهُوَ ميت.

وكما قال بعض العلماء : مَثَلُ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَرْضِ كَمَثَلِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ، إِذَا ظَهَرَتْ لَهُمْ شَاهَدُوا، وَإِذَا غَابَتْ عَنْهُمْ تَاهُوا.

ويصدق قولهم قوله ﷺ عن الصحابة رضي الله عنهم :« **النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ [1] لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ**» كما في صحيح مسلم .

فَمَنْ عَرَفَ الحق من الضلال بَرِئَ من الضلال ولزم الاستقامة.

---

(١) أي أمانًا للناس من الفتن والضلال.

ويرحم الله سلفنا من العلماء حين يغيب عنهم بعض العلم:

* ذَكَرُوا لِشُعْبَةَ بن الحجاج- وهو أمير المؤمنين في الحديث- حَدِيثًا، لَمْ يَسْمَعْهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: وَاحُزْنَاهُ !

* وقد قال رحمه الله: إِنِّي لَأُذَاكِرُ الْحَدِيثَ فَيَفُوتُنِي، فَأَمْرَضُ !

بل تكاد مرارة الواحد فيهم تنشق إذا مات العالم ففاته من علمه.

ولا عجب فإن طلحة بن عبيد الله المبشر بالجنة مع كثرة ما روى عن النبي ﷺ فاته حديث من النبي ﷺ فرُؤي أثره عليه، فأصبح كئيبًا حزينًا بعد موت النبي ﷺ (١).

فنسأل الله تعالى أن يوقِّينا أسباب معوِّقَات المَعَالي، ويوقِّنا دَنَاءَة الهمَّة في تحصيل الثقافة الدينية إنه بكل جميل كفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصل اللهم وسلم وبارك على محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

كتبه أبو يحيي محمد بن عبده
بلطيم- كفر الشيخ- مصر

(١) كما أخرج ذلك أحمد والنسائي وخرجت كل هذافي غير هذا المقام، وهو ثابت عنهم.

حالة البشرية بغير دين[١]

ها نحن نذكر - على وجه الاختصار - حالةَ فترة من الزمان كان الناسُ فيها على غير الإسلام ، فلنلقي نظرةً على أحوالهم كيف كانت جاهلية وشر بكل معاني الكلمتين ومضمونهما:

فها هي صور حقيقية للبشرية إذا كانت بغير دين:

كانوا كما قال جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه :« كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ الله إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ.

فَدَعَانَا إِلَى الله لِنُوَحِّدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ

(١) وهي نفس النتيجة لو كانت الملَّة محرَّفة، فتحريف الملَّة يجعلها من عند غير الله، كما لو كانت مجموعة أهواء اتُّخذت دينًا.

نَعْبُدَ الله وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا[١].

* وفي الصحيحين قول حذيفة رضي الله عنه للنبي ﷺ: « إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا الله بِهَذَا الخَيْرِ».

* كانوا في جاهلية قبيحة وشر، وضلال: عبادة الحجارة، والأوثان التي لا تضر ولا تنفع كما كانوا يعبدون ذا الخلصة قبل الإسلام.

* حالهم الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ التي لا تضر ولا تنفع- وهذا من سخافة عقولهم أن يقبلوه- وَالنِّيَاحَةُ، الجالبة للنكد بلا فائدة، مع سوء المنظر. وكذا الفخر بالأموال.

* وحالهم في الأنكحة:

نِكَاحٌ :كَانَ الرَّجُلُ يَقُولُ لِامْرَأَتِهِ إِذَا طَهُرَتْ مِنْ طَمْثِهَا: أَرْسِلِي إِلَى فُلَانٍ فَاسْتَبْضِعِي مِنْهُ، وَيَعْتَزِلُهَا زَوْجُهَا وَلاَ يَمَسُّهَا أَبَدًا، حَتَّى يَتَبَيَّنَ حَمْلُهَا مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي تَسْتَبْضِعُ مِنْهُ، فَإِذَا تَبَيَّنَ حَمْلُهَا أَصَابَهَا زَوْجُهَا إِذَا أَحَبَّ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ رَغْبَةً فِي نَجَابَةِ الوَلَدِ[٢].

---

(١) أخرج ذلك عنه أحمد (١٧٤٠)، بإسنادٍ حسن .

(٢) نجابة الولد من هذا الدنيء السافل المنحطّ المشَبَّه بالتيس المستعار!

، فَكَانَ هَذَا النِّكَاحُ نِكَاحَ الِاسْتِبْضَاعِ.

وَنِكَاحٌ آخَرُ:

يَجْتَمِعُ الرَّهْطُ مَا دُونَ العَشَرَةِ، فَيَدْخُلُونَ عَلَى المَرْأَةِ، كُلُّهُمْ يُصِيبُهَا، فَإِذَا حَمَلَتْ وَوَضَعَتْ، وَمَرَّ عَلَيْهَا لَيَالٍ بَعْدَ أَنْ تَضَعَ حَمْلَهَا، أَرْسَلَتْ إِلَيْهِمْ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَنْ يَمْتَنِعَ، حَتَّى يَجْتَمِعُوا عِنْدَهَا، تَقُولُ لَهُمْ:

قَدْ عَرَفْتُمُ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِكُمْ وَقَدْ وَلَدْتُ، فَهُوَ ابْنُكَ يَا فُلاَنُ، تُسَمِّي مَنْ أَحَبَّتْ بِاسْمِهِ فَيَلْحَقُ بِهِ وَلَدُهَا، لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْتَنِعَ بِهِ الرَّجُلُ.

وَنِكَاحٌ آخر:

يَجْتَمِعُ النَّاسُ الكَثِيرُ، فَيَدْخُلُونَ عَلَى المَرْأَةِ، لاَ تَمْتَنِعُ مِمَّنْ جَاءَهَا، وَهُنَّ البَغَايَا، كُنَّ يَنْصِبْنَ عَلَى أَبْوَابِهِنَّ رَايَاتٍ تَكُونُ عَلَمًا، فَمَنْ أَرَادَهُنَّ دَخَلَ عَلَيْهِنَّ، فَإِذَا حَمَلَتْ إِحْدَاهُنَّ وَوَضَعَتْ حَمْلَهَا جُمِعُوا لَهَا، وَدَعَوْا لَهُمُ القَافَةَ، ثُمَّ أَلْحَقُوا وَلَدَهَا بِالَّذِي يَرَوْنَ، فَالْتَاطَ بِهِ، وَدُعِيَ ابْنَهُ، لاَ

.....

فهو كالحيوان – التيس المستعار – تذهب إليه المرأة كالبقرة أو العنزة يركبها لتحمل منه بتيس خسيس من بني آدم، فانظر انتكاسة المعايير إلى أين ؟!

يَمْتَنِعُ مِنْ ذَلِكَ .

وهذا معروف اليوم في أوربا على ما حكى لنا إخواننا هناك باسم الزنى أو النكاح الجماعي، كل ديوث منهم يسلم زوجته أو أخته أو أمَّه لصاحبه، وقد يسمح لنفسه أن يراه كل هذه الإباحية الوباء تحت ظل الحرية[1].

ويوجد فرادى في بلاد أوربا وغيرها من بلاد الأعاجم، يتتابعون على المرأة البغي الواحد بعد الواحد، وأن النتيجة مُزرية وهي نشر أمراض الإيدز، وضياع الأموال على البغايا، وهذا يسمع عنه في كل يوم فيهم.

ويحصل في هذه البلاد: رجل يرقص عاريًا بين النساء، ويسمون ذلك حفلة توديع العزوبية.

---

(١) وقد سألت الأخوة ماذا يفعلون بالجنين المولود من هذا الزنى في بلاد الأعاجم في حالة أن الزاني لا يعترف بالولد، فأحيانًا يأمرونها بالإجهاض، وأحيانًا يخرج الطفل المسكين له أم وليس له أب، أو لا يعرف له لا أب ولا أم، فيعيش متسوِّلًا يربيه أولاد الخنا في الشوارع ليس له والد يحنّ عليه أو ينصحه أو يُرَبِّيه كبقيَّة الأبناء، بغير ذنب أو جرم ارتكبه.

* ومن هذه الأنكحة زنا المحارم:

أخرج أبو داود بسندٍ ثبَّته بعض العلماء عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْبَرَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَقِيتُ عَمِّي وَمَعَهُ رَايَةٌ، فَقُلْتُ لَهُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: «بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى رَجُلٍ نَكَحَ امْرَأَةَ أَبِيهِ، فَأَمَرَنِي أَنْ أَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَآخُذَ مَالَهُ».

ينكح الولد امرأة أبيه كأنها جزء من ثروة أبيه تُورث.

وقد قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ ﴾ النساء.

فنكاح المحارم حينما غاب الدين وُجِدَ في الجاهلية، ونهى الله عنه.

وهو اليوم في أوربا وبلاد الأعاجم بسبب غياب الدين والثقافة الإسلامية.

وقد حاولوا تقنينه للخف من أضراره بعد حينما اكتشفوا فساده وإفساده. ينكح الولد أخته، وأمه، وخالته وعمَّته .. ويستمتع الخسيس بفروجهنَّ، ويسيم طرفه فيهنَّ!

بل الزنى الجماعي البهيمي[١]!

هل رأيتم بهيمه أو تيس يتورَّع أن يرى زميله عورته؟!

ولقد مُدح موسى عليه السلام بالحياء أنه لا يري زملاؤه عورته

فقال ﷺ: «**إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا، لاَ يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ، فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا: مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسَتُّرَ، إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ: إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أُدْرَةٌ: وَإِمَّا آفَةٌ، وَإِنَّ اللهَّ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى... الحديث**» .أخرجه البخاري ومسلم.

فأين المدعون أنهم من أتباعه، وعلى ملَّته اليوم؟!

وكان النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادَ الْبَرَازَ انْطَلَقَ، حَتَّى لَا يَرَاهُ أَحَدٌ، كَانَ إِذَا ذَهَبَ الْمَذْهَبَ أَبْعَدَ حتى لا يراه أحد. حياءً منه ﷺ.

---

(١) في نفس الوقت الذي يمنع ولي أمر البنت أو الولد من ممارسة الزنا، بل زنا المحارم، وتأتي البنت بصديقها إلى المنزل ، ولا يحق لوالدها ولا والدتها أن يعترض، وإلا تشتكيه للشرطة تحبسه، وليس لولي الأمر ضرب الأبناء لتأديبهم في تلك البلاد، ولا تعنيفهم على خطأ يقترفونه، القوانين تمنع من ذلك، ونعوذ بالله من هذا الضياع، والحمد لله على الإقامة في بلاد المسلمين وبينهم!

أين هؤلاء وهم يأتون الذكران من العالمين، والمرأتان تتساحقان، والمرأة تتزوج كلبًا، والرجل فيهم يتبجَّح بالمطالبة بسن قوانين لذلك؟

أين المطالبون بإباحة الشذوذ الجنسي من المدَّعين اتباع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ؟

ما هذا الضياع لبنود الإنسانية، والتدمير والتهديد للجنس البشرى؟!

فأقرب مثالًا لهم: أنهم ذريبة بقر أو جاموس، أو غنم أو معز، أو كلاب .. حيوانات في البريَّة ينزوا بعضهم على بعض لا يدري أمًّا من أخت من زوجة من بنت..إلخ!

فلا والله ما في أخس من هذه الحياة حياة، رضوا أن يكونوا كالبهائم!

أضف إلى ذلك :أنهم – مع كل هذه القذارة والخبث والتخلَّف- يظنون أنهم سادة الأمم ، وأن غيرهم أميون ليس عليهم في ظلمهم والإساءة إليهم سبيل.

بل ينظرون إلى أنفسهم على أنهم سادة، وأهل تحرر، وتقدم، وحضارة...

وأن غيرهم من المسلمين همج رعاع لا وزن لهم.

وبالجملة: حالات بلاد أوربا والأعاجم وكثير ممن يقطنونها هم في طبائعهم وأخلاقهم كأهل الجاهلية قبل الإسلام، بل وزادوا عنهم في الحقارة والوضاعة[١].

* وكانوا في الجاهلية قبل الإسلام يتقرَّبون للأصنام التي لا تضر ولا تنفع.

يذبحون لها فيخسرون ذبائحهم دنيويًا، ولا ينتفعون بها في الآخرة، ويتركون ظهور بعض الأنعام فلا ينتفعون منها بشيء.

* يأدون البنات سفهًا بغير علم، يقتلونها ظلمًا بلا ذنب، ويحرمون ما أحل الله لهم، ويضيعون أموالهم فيما لا يجلب لهم نفعًا.

فلا هم يبقونها ينتفعون بها في الدنيا ولا يعطونها لغيرهم فينتفع بها!

* كانت المرأة تطوف بالبيت عارية تمامًا بغير ثياب وتقول:

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ ... فَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ.

---

(١) وللأسف بعض المسلمين يتشرَّف ويتفاخر بأخذ جنسية من جنسيات هذه الدول!

واليوم في بلاد أوربا تسير المرأة عارية تمامًا في شواطئ العراة.

وتتعرض المرأة بسبب ذلك للتحرُّش والضرر الكبير.

* كانوا كما قال أبو رَجَاءٍ العُطَارِدِيِّ[1] رحمه الله: « كُنَّا نَعْبُدُ الحَجَرَ، فَإِذَا وَجَدْنَا حَجَرًا هُوَ أَخْيَرُ مِنْهُ أَلْقَيْنَاهُ، وَأَخَذْنَا الآخَرَ، فَإِذَا لَمْ نَجِدْ حَجَرًا جَمَعْنَا جُثْوَةً مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ جِئْنَا بِالشَّاةِ فَحَلَبْنَاهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُفْنَا بِهِ.

* **وقال** أبو عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ،قال: كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ نَعْبُدُ حَجَرًا ، فَسَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي: يَا أَهْلَ الرِّحَالِ ، إِنَّ رَبَّكُمْ قَدْ هَلَكَ فَالْتَمِسُوا رَبًّا ، قَالَ: فَخَرَجْنَا عَلَى كُلِّ صَعْبٍ وَذَلُولٍ فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ نَطْلُبُ إِذَا نَحْنُ بِمُنَادٍ يُنَادِي: إِنَّا قَدْ وَجَدْنَا رَبَّكُمْ أَوْ شَبَهَهُ ، قَالَ: فَجِئْنَا فَإِذَا حَجَرٌ فَنَحَرْنَا عَلَيْهِ الْجُزُرَ.

* **وقال** السائب بن أبي السائب: كان لِي حَجَرٌ أَنَا نَحَتُّهُ بِيَدَيَّ أَعْبُدُهُ مِنْ دُونِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَأَجِيءُ بِاللَّبَنِ الْخَاثِرِ الَّذِي أَنْفَسُهُ عَلَى نَفْسِي، فَأَصُبُّهُ عَلَيْهِ، فَيَجِيءُ الْكَلْبُ فَيَلْحَسُهُ، ثُمَّ يَشْغَرُ فَيَبُولُ.

---

(١)مِنْ كِبَارِ الْمُخَضْرَمِيْنَ، أَدْرَكَ الجَاهِلِيَّةَ، وَأَسْلَمَ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَلَمْ يَرَ النَّبِيَّ ﷺ.

*كانوا يعبدون الخشبة التي ينحتها لهم النجار، والتي لو أشعلوا فيها النار لاحترقت.

* كانوا يحاربون الذي ليس على ملتهم ولا يعبد الأصنام، ولا يذبح إلا على اسم الله، ولا يأكل مما يذبحون للأنصاب، وينكر عليهم سخفهم وكفرهم كزيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه.

وكان يعارضهم فيُحيي الموءودة، ويبحث عن الدين الحق رضي الله عنه، مِلَّة إبراهيم عليه السلام [1].

وكل هذه الآثار ثابتة خرَّجناها في كتابنا «صحيح السيرة النبوية».

فالناظر هنا يجد أن وجود هذه الأشياء في المجتمع يمزِّقه، ويفسد عقول مَن فيه، ويضيِّع القيم والمبادي المستحسنة في الفطر، بل ويصبح الساكن فيه المخالط لأهله لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا -إلا في

---

(١) وكذلك تفعل أوربا فيمن يريد اتباع غير ملتهم كملة الإسلام، أو يظهر شعيرة الإسلام. لَقِيَهُ زَيْدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، فَحَيَّا أَحَدُهُمَا الْآخَرَ بِتَحِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا لِي أَرَى قَوْمَكَ قَدْ شَنِفُوا لَكَ**». فَقَالَ: أَمَا وَاللهِ إِنَّ ذَلِكَ لَبِغَيْرِ نَائِرَةٍ كَانَتْ مِنِّي إِلَيْهِمْ، وَلَكِنِّي أَرَاهُمْ عَلَى ضَلَالَةٍ.

النادر-

بل قد يرى المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، والعدو صديقًا ومريد الخير به خصمًا يحاربه بكل ما أوتي من قوة، وإنه لفساد المعيار.

فيعيش بعضهم بفكر منكوس لو عرض عليه الحق لم يقبله، ويعتبره منكرًا، والعكس تمامًا.

وهذا هو السبب.

أن كثيرًا من المسلمين يكون الواحد منهم ذا فطرة سليمة وذوق حسن رُبِّي في بلاد المسلمين وتخلَّق بأخلاقهم، ومع القرآن والسنة عاش، محافظًا محاربًا لما يخالف ذلك، وظاهره الاستقامة...

فما إن يُقم بين ظهراني هؤلاء المشركين من الأعاجم ويعاشرهم ويختلط بهم إلا ويتخلَّق بأخلاقهم، ويكتسب مِن طباعهم، فيتشرَّب من مفاهيمهم، وبعضهم مهزوم هزيمة نفسية لا يستطيع مقاومة الخطأ والضلال ...

فبعد أن كان يذمهم فإذا به يمدحهم، حتى يُفضِّلَ بلاد الكفار الأعاجم هؤلاء على بلاد المسلمين، وبعضهم انتكست فطرته أكثر

فيهاجم بلاد المسلمين من داخل بلاد الكافرين، ويحاول تأجيج نار الفتن والفرقة والثورات في بلاد المسلمين بل بعضهم انتكست فطرته، وفسدت طويته أكثر، فيفعل كل هذا باسم الدين والسُّنة والحق، ويحارب بلاد المسلمين ويطعن في حكامهم، من منبر له في بلاد الكافرين، ثمَّ يتهم غيره بالخيانة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

جدول توضيحي يبين وجوه الشَّبه بين طبائع ومعاملات وأخلاق الجاهلية قبل الإسلام مما وضعه النبي ﷺ كله تحت قدمه ، وما عليه أوربا وبلاد الأعاجم الآن.

الجاهلية قبل الإسلام	دول أوربا والأعاجم اليوم
١ - أكلهم الربا. وقد قال ﷺ في حجة الوداع:«... **وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ** »(١).	١ -أموال بلاد أوربا وغيرها من بلاد الأعاجم كلها ربا، وكذا أكثر معاملاتهم.
٢ - يأكلون الميتة، ويأتون الفواحش، ويقطعون الأرحام، ويسيئون الجوار، ويأكل القوي منهم الضعيف، كما تقدم في قول	٢ - يأكلون ميتة الدجاج المقتول بالصعق الكهربي، ويذبحون على غير اسم الله، ويأكلون لحوم الكلاب والخنزير، والفئران

(١) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (١٢١٨).

جعفر رضي الله عنه: « كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيئُ الْجِوَارَ، وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ».

والخنافس ونحوها من الصراصير التي مقرّ معيشتها المراحيض، ويأكلون الدجاج بعد غمره في الخمر أم الخبائث، ويأتون الفواحش، ويقطعون الأرحام، ويسيئون الجوار، ويأكل القوي منهم الضعيف، هذا واضح.

٣-نكاح المحارم،كان الرجل ينكح زوجة أبيه بعد وفاة والده على ما ذكر المفسرون، ولذا قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ ﴾ النساء: ٢٢.

٣-ينكح بعض الأوربيين والأعاجم أمهاتهم وأخواتهم وغيرهم من المحارم، هذا معلوم ، وقد بلغني أنهم يطالبون بتقنين ذلك كقانون لهم، ولا يُجَرِّمون ما يفعل ذلك.

٤-كانت الدياثة فيهم ، يرسل أحدهم امرأته تستبضع من رجل آخر، يرسلها له ليضاجعها.

٤- الدياثة في بعضهم تصادق المرأة الرجل وتأتي به في منزلها وزوجها لا يتكلَّم، وبعضهم لا يأنف من

وأكيد أخوها أو أبوها لا يعارض في هذا فيعلم أن زوج ابنته أو أخته يفعل ذلك مع أخته أو ابنته، وكأن شيئًا لم يكن، لأنه هو الآخر بما يفعل مثله.	مشاركة رجل آخر معه لامرأته، وربما هي أيضًا. ويرى ابنته تأتي بصديقه إلى المنزل فلا يهيجه ذلك، ولو تكلَّم تعاقبه الشرطة لو اعترض عليها، كل ذلك تحت شعار الحرية الشخصية.
٥- منتشر عندهم شرب الخمور، لعب القمار (الميسر) وسألو النبي ﷺ عنه بعد ما أسلموا وفيها أنزل الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ ﴾ المائدة.	وما أدري ماذا تركوا للحيوانات؟! ٥- منتشر أيضًا في أوربا وبلاد الأعاجم، شرب الخمور بجميع أنواعها عند كثير منهم كشرب الماء، والقمار منتشر .

٦- سير المرأة عارية متبرجة يقابل أحدهم المرأة فيقبلها [١]. وكَانَتِ الْمَرْأَةُ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَهِيَ عُرْيَانَةٌ، وتَقُولُ: مَنْ يُعِيرُنِي تِطْوَافًا؟ تَجْعَلُهُ عَلَى فَرْجِهَا، وَتَقُولُ: الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ ... فَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ. لا تستحيي أن ترى سوأتها.	٦- هكذا تسير النساء في أوربا اليوم عارية، ويتحرَّش بها في الشارع، وفي المواصلات علنًا، بل يحصل ما هو أكثر من ذلك على شواطئ العراة وفي المنتزهات كما نقل لنا. وما دامت راضية فلا تثريب عليها ولا على من يُعاقرها!
٧-كثرة الهرج والقتل بين الأفراد، وعلى أتفه الأسباب، فقد تقوم	٧- في بلاد الكفار يعقدون مؤتمرات ومعاهدات ظاهرها حفظ سلام، واحترام سيادات دول،

(١) في صحيح البخاري(٥٢٦) ومسلم (٢٧٦٣) عن ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنِ امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، قَالَ فَنَزَلَتْ: {أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ، إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ}..الحديث.

وفي صحيح مسلم (٢٧٦٣)عنه رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي عَالَجْتُ امْرَأَةً فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ، وَإِنِّي أَصَبْتُ مِنْهَا مَا دُونَ أَنْ أَمَسَّهَا، فها أنا ...الحديث. وإنما حصل هذا على ما كانوا معتادين عليه قبل الإسلام.

الحروب بينهم سنوات يضيع على أسباب تافهة، ويقومون بأحلاف[١] كحلف الفضول، وقال ﷺ: لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُدْعَانَ حِلْفًا لَوْ دُعِيتُ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ تَحَالَفُوا أَنْ يَرُدُّوا الْفُضُولَ عَلَى أَهْلِهَا، وَأَلَّا يَعُزَّ ظَالِمٌ مَظْلُومًا[٢]. ومع ذلك ظلموا الصحابة الذين أسلموا وآذوا أبا ذر الغفاري وصهيب الرومي وغيرهما ممن قدموا مكة.	والمنع من احتلال أراضي وممتلكات الغير، والمنع من التدخل في الشؤون الداخلية للدول، هذا يستظهرونه للعلن، ولكن من الداخل كيد وتسريح ملشيات وأحزاب معارضة تُخَرِّب في تلك الدول ، ودعم بأسلحة لجهات معادية، واحتلال أراضي الدول المستضعفة، طمعًا في أخذ ثرواتها، وأكل مقوّمات شعبها رغم المعاهدات،
فهم يعقدون معاهدات ، ومواثيق	وكل ذلك نقض لحقيقة للمواثيق

(١) جمع حلف، وهو الاتفاق على قانون معين .

(٢) وبصرف النظر عن صحة سنده فهو الحلف الذي قال عنه ﷺ :« شَهِدْتُ حِلْفَ الْمُطَيَّبِينَ مَعَ عُمُومَتِي وَأَنَا غُلامٌ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي حُمْرَ النَّعَمِ، وَأَنِّي أَنْكُثُهُ ».

أخرجه أحمد بسندٍ ثابت.

فيناقضون ما تعاهدوا عليه بأفعالهم.	والعهود، وإنما يوفون بالعهود إذا ضعفوا. أما إذا قووا فلا اعتبار لتلك المواثيق، فالكيل بمكيالين، وازدواجية في المعايير.
٨-محاربة الحق وإيذاء أهله لا سيما إذا استضعفوهم. حاربوا النبي ﷺ وآذوا أصحابه بل وقتلوا بعضهم لاعتناقه الإسلام وحاولو قتله ﷺ، وألَّبوا عليه العرب لحربه، وفي الأواخر عقدوا بينهم وبينه صلحً(صلح الحديبية) وهم الذين نقضوا هذا الصلح بعد بسبب إقرار اعتداء رجل من بكر حلفاء قريش على رجل من خزاعة	٨- هكذا بلاد الأعاجم ، يحاربون الحق ويحاربون أهل الإسلام ومبادئة ويُضَيِّقون على أهله القائمون بالقيم والمحاسن، وأخذهم بجريرة المنحرفين فيهم من الخوارج والمفسدين، و في نفس الوقت يسمحون لغيرهم ممن على ملَّتهم ملَّة الكفر بمزاولة إباحيتهم وما يشتهون في بلادهم. فأين الحرية المزعومة مع هذه الإزدواجية في المعايير .

حلفاء النبي ﷺ.	٩- موجود هذا في هذه البلاد (الانحياز العنصري) حتى لمجرَّد الاختلاف في اللون أو النوع والجنس، وهو موجود بصورة فجَّة مقزِّزة مزرية.
٩- العصبية الجاهلية المتمثلة في القبائل والعشائر. فمن كان معهم رفعوه إلى حيث يريدون، وإلا فالسطو عليه.	
١٠-يحاولون إخراج أهل الطهارة في المعتقدات والنظافة الشخصيَّة يحاولون إخراجهم من بلادهم ولذا أخرجوا النبي ﷺ فهاجر إلى مكة، وهاجر الصحابة من قبله إلى الحبشة وبعضهم إلى المدينة.	١٠- هم كذلك إما يسجنونهم وإما يطردوهم ويبعدونهم إبعادًا تمًا من بلادهم ويمنعونهم من الدخول مرَّة ثانية.
على سنة من كانوا قبل«قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ».	١١- موجود إتيان الذكران من العالمين، وسحاق النساء مع بعض

١١- ما أعلم هل كان عندهم إتيان الذكران من العالمين أم لا، ما سمعتُ به.	دون الرجال، ، ومقنن عندهم تحت مظلَّة الحرية الشخصية، بل قد تستمتع بالحيوان، وكم سمعنا هن تزوج امرأة منهنَّ كلبًا. وقد تجد الذكر يتزيَّن كما تتزين المرأة عند الكوافير . وقد لا يستغرب المتشبهة من النساء بالرجال، فذلك لفضيلة جنس الرجال- في الجملة – وإنما المستغرب حقًا هو تشبه الرجال بالنساء[1].

(١) فيبقى الرجل عند المزين (الكوافير) ينمص له ويزينه بطريقة تزين النساء يحب أن يكون امرأة، المرأة نشئت في الحلية أما الرجل فلا بأس أن يتجمَّل، فالله يحب الجمال لكن لا يكون بطريقة المخنثين!

ما فاقت فيه أوربا وبلاد الأعاجم الجاهلية قبل الإسلام

إن مجامع الخير التي كانت في الجاهلية قد فُقد معظمها في تلك البلاد.

* فمعلوم أن بعض أهل الجاهلية قد عقدوا حلفًا فيه نصرة المظلوم من أهل مكة أو غيرها وهو الذي قال عنه ﷺ: « **شَهِدْتُ مَعَ عُمُومَتِي حِلْفَ الْمُطَيَّبِينَ، فَمَا أُحِبُّ أَنْ أَنْكُثَهُ، وَأَنَّ لِي حُمْرَ النَّعَمِ** ».

فلا تجد تلك النصرة للبلاد ولا للأطفال، ولا للعجائز المنكوبين من جرَّاء القذف العشوائي بالطائرات، بل بالقنابل المحرَّمة دوليًا، تلك القنابل التي تُهلك الحرث والنسل !

لا تجد نصرة في تلك البلاد لهؤلاء المساكين، بل قد يأخذوا منهم أبنائهم الصغار يربونهم لهم على ديانة مختلفة ، وقد لا يراهم الأهل بعد ذلك، ولأتفه الأسباب – يأخذون أبناءهم منهم لتحضنهم أسرة نصرانية ، ولا يمتُّون للطفل بأي صلة لتقوم تلك الأسرة على تربيته وتوجيهه، وكأن تلك الأسرة أحنّ على الطفل من أمه وأبيه وأهله!!

أهل الجاهلية لا يرضون بمثل هذا، فالفطرة السويَّة تمُجّ ذلك.

فسبق أهل الجاهلية هؤلاء القوم في ذلك، فيا للعجب!

* وفي أهل الجاهلية من كان مأمونًا مع كفره ، فهذا رجل مِنْ بَنِي الدِّيلِ، وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ، هَادِيَا خِرِّيتًا يوم الهجرة، استأمنه النبي ﷺ وأبو بكر يدلُّهم على الطريق، وهذا مما قد لا تجد مثله في أوربا وبلاد الأعاجم اليوم.

* ومن أهل الجاهلية من كان يستحيا من الكذب وهو على كفره كأبي سفيان بن حرب مثلًا يوم أن سأله هرقل عن رسول الله وقال:« فَوَاللهِ لَوْلاَ الحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ » كما في الصحيح.

ووالله تجد الكذب الأصلع الأبلق من قاداتهم على الضعفاء والمظلومين ومن لا ناصر لهم إلا الله، ولا يرقبون فيهم إلًا ولا ذمَّة!

* وكان في أهل الجاهلية من الكرم ما قد لا تجد مثله في بلاد الأعاجم.

والشُّرَفَاءُ منهم لم يكن فيهم تلك الدياثة المنتشرة في أوربا وبلاد الأعاجم.

* ولم يكن فيهم التخنيث الذي يُتبجَّح به في الغرب، فيطالبون

بتزويج الرجل بالرجل والأنثى بالأنثى. ينكح بعضهم بعضًا بدعوى الحريَّة الشخصية.

فيجلس الرجل عند المزين يزينه لينكحه رجل آخر، ولا ينكر المجتمع مثل هذا!

وهذا مما تمجُّه الفطر المستقيمة وتأباه أشد الإباء.

* وكم يُسَنُّ في تلك الدُّوَل قوانين تصبُّ في صالح المرأة حتى يجعل لها السيادة والقوامة على زوجها القائم عليها، وهم ناقصة عقل ودين بالشرع والعقل والمشاهدة الواقعية لحال المرأة .

وهذا لا تصلح به الحياة الزوجية عند من عقل.

* وكم تدخَّل الأوربيون والأعاجم بسنِّ قوانين في باب تربية الأولاد من شأنها أن تُعرقل تربيتهم على الوالدين: من حسن توجيه ونصح وتقديم خير... ونحو ذلك، فأفسدوا حقوق الوالدين، وعَطَّلوا حُقُوق الأبناء، ولم يكن ذلك موجودًا عند الجاهلية قبل الإسلام بتاتًا.

خطورة تأخُّر العلم والثقافة الدينية في المجتمعات المذكورة

تأخر العلم والثقافة الدينية لدين الإسلام عمومًا هو غياب للوعي الإنساني بكليَّته عن تلك البلاد(١).

وذلك لأن الناس بغير دين مُنْحَطُّون إلى درجة البهائم العجماوات أو أخسّ، لا فرق بينهم وبين البهائم، بل تصبح فائدتهم أقل من فائدة السوائم للبشرية، ويصبح ضررهم عَظيمًا على البشرية إلى حدٍ لا يُتصوَّر.

وقد أرشد الله إلى تلك الحقيقة فقال:

﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

---

(١) ولو قلنا هنا «للدين » بغير ذكر الإسلام لاستقام المعنى فالدين عند الله هو الإسلام، وغيره لا يقبله الله، فهو المهيمن على ما كان قبله من الرسالات، ولم يلحقه التحريف، وأما غيره من الكتب فلا يقبل ما فيه من خزعبلات لا يُشَكُّ أنها من أثر التحريف، ولا يقبل ما فيها من هوعاقل فضلًا عن منتسب إلى عقيدة الدين الصحيحة.

ولما علم الله ما فيها ونوَّه على تحريفها قال سبحانه: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ آل عمران.

وقوله ﷺ: « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» أخرجه مسلم .

الأنفال.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾ الأنفال.

وقال تعالى عَمَّن اتَّبعوا الأهواء ولم يستخدموا آلاتهم في اتباع الدين القويم: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ الأعراف.

وقال سبحانه عن هذا الصنف: ﴿أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ الفرقان.

والدين ضروريٌّ للحياة الإنسانية، فلأجله خلق الإنسان ليوحِّده.

وقد جعل للناس شريعة يستمدُّون منها مصالحهم وما ينفعهم، وما هم في حاجة إليه، تلك الشريعة يتقون بها توجههم إليه ما يضرُّهم في معايشهم وأخلاقهم ومسالكهم.

وبمقدار ما يفقدون من تعاليم هذه الشريعة تمامًا هو بمقدار الفساد الذي يلحقهم في حياتهم الدنيوية، وتتعسَّر عليهم الحياة الطيبة في العاجل والآجل.

وهذه الحقيقة ذكرها الله تعالى في كتابه فقال: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ النحل.

والعمل الصالح لا يكون أبدًا إلا بما أمرت به الشريعة التي جعلها الله تعالى للناس قيامًا، ليس بما تستحسنه العقول التي ربما يكون قد أصابها من الانتكاسات أو المؤثِّرات الخارجية ما أصابها، فتنبَّه.

فتجد كثيرًا ممن يعيشون في تلك البلاد يعيش حياة بهيمية كحياة الجاهلية التي كانت قبل الإسلام، حياة انحلال وتسيُّب، حياة مادية لا تعرف للقيم معنى.

وأما مَن تيقَّظ في هَذه البلاد ، فيستنكر هذا بشدَّة، ويعاني معاناة كبيرة من كل شيء، ويحاول بعضهم الفرار منها بدينه وقِيَمِه، لولا أن أسباب معيشته، وارتباطاته بأهل وأولاد وكسب رزق لقوته وقوت أولاده في

هذه البلاد.

ثُمَ عائق اللغة[١] فلا يدري إلى أي مكان من بلاد العرب يسير، وهو لا يجيد اللغة العربية إجادة كاملة.

ومع كل هذه العوائق فلا أحد يعينه حتى أقرب الناس إليه الزوجة والأولاد والأهل، فلا المجتمع يعينه على الصلاح، ولا الأهل يعينون فيبقى المسكين حائرًا، وبعضهم يرضى بالأمر الواقع مستسلمًا على حزن.

ثم قد ينجرف مع مجتمعه لضعفه والله المستعان.

الوقاية التي جعلها الخالق سبحانه في شريعته خشية الانخراط في مثل تلك المزالق المردية

& قد منع الله تعالى من اتخاذ الكفار أولياء فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

(١) بعضهم لا يجيد اللغة العربية إجادة تامة تمكنه من الطلاقة في التحدُّث بها كالعرب الخلَّص، حتى من أولئك الذين لهم أصول عربية مغربية أو جزائرية أو عراقية أو سورية أو مصرية أو سودانية..

وذلك بسبب طول مدة إقامته وتحدُّثه بغير العربية من اللغات كالفرنسية أو الإنجليزية أو غيرها من لغات من يعاشرهم ويساكنهم ويُعايشهم.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ المائدة.

ففي تنفيذ هذا وقاية من التأثُّر بعض الشيئ بسبب اتخاذهم أولياء.

& ومنع الله تعالى المسلمين من موالاتهم فقال: ﴿ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ المائدة .

فما دمت علمت أنه كافر، وعقيدته مضادة لعقيدتك فتوليك له دليل على ميوعة فيك، ودعواهم الإيمان مع وجود هذا فيه ما فيه.

ولذا قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴿٦٠﴾ ﴾ النساء.

فنحن مأمورون بعدم اتخاذ الكفار أولياء، ولا نستحسن ما هم عليه من عقيدة وطباع، وإنما نعاشرهم بقدر الضرورة ولا نصاحبهم، فليسوا بأولياء لنا، نعم لا نظلمهم ولا نعتدي عليهم، لكن لا نستحسن ما هم عليه من أخلاق، أو طباع، أو اعتقاد .

& ومن سُبُل الوقاية من أفكار الكفار المنحرفة في تلك البلاد مخالفتهم في كل شيء بقدر الإمكان، وعدم مشاركتهم في أعيادهم ومراسمهم، وتحذير النشء من ذلك[1]:

---

(١) وبعض الأباء غير إيجابي، بل سلبي، يتعلل بعلل ساذجة حينما يرى تشبه أولاده بالكفار ، فمع اعترافه بأن أعيادهم شركية فإنه يتساهل مع أبنائه متى رآهم شاركوا في أعيادهم وصادقوهم وسارعو فيهم، وباركوا لهم، وأكلوا معهم فيها الحلوى كما يأكلون، بل قلَّدوهم فصنعوا أعيادًا كأعيادهم ، واحتفلوا كاحتفالاتهم، وتشبَّهوا بهم في كل شيئ ولو كان لا نفع له بحال ... الله أكبر!

صدق رسول الله حين قال: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ**» وسيأتي.

وفي مسند أحمد(٢١٨٩٧) بسندٍ صحيح عن أبي واقد مرفوعًا قال:« **إِنَّهَا السُّنَنُ، لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ سُنَّةً سُنَّةً**».

وتأمَّل ما رواه أنس بن مالك ﷺ أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ فِيهِمْ لَمْ يُؤَاكِلُوهَا، وَلَمْ يُجَامِعُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ فَسَأَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ النَّبِيَّ ﷺ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ} [البقرة: ٢٢٢] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ**» فَبَلَغَ ذَلِكَ الْيَهُودَ، فَقَالُوا: مَا يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلَّا خَالَفَنَا فِيهِ ، فَجَاءَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَعَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ فَقَالَا يَا رَسُولَ الله، إِنَّ الْيَهُودَ تَقُولُ: كَذَا وَكَذَا، فَلَا نُجَامِعُهُنَّ؟ فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ الله ﷺ حَتَّى ظَنَنَّا أَنْ قَدْ وَجَدَ عَلَيْهِمَا.. الحديث [١].

فتأمَّل أفعال الصحابة ﷺ لما رأوا من فعله ﷺ من مخالفتهم، استأذنوا النبي ﷺ في المبالغة في مخالفتهم بما يخرجهم عن حدِّ الاعتدال!

وهكذا شدَّد الصحابة ﷺ على من يليهم في البعد عن مراسمهم وطباعهم، حتى لا يتأثَّروا بهم بسبب التشبه في الظاهر الذي يؤول إلى التشبه في الباطن.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠٢).

فأخرج الدولابي[١] بإسنادٍ حسن عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو ، قَالَ: «مَنْ بَنَى فِي بِلَادِ الْأَعَاجِمِ فَصَنَعَ نَيْرُوزَهُمْ وَمِهْرَجَانَهُمْ، وَتَشَبَّهَ بِهِمْ حَتَّى يَمُوتَ وَهُوَ كَذَلِكَ، حُشِرَ مَعَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وأصرح من هذا حديث ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « **مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ** »[٢].

& ومن أدلة المخالفة لهم في طباعهم وتزيُّنهم ومراسمهم :

الأمر بمخالفة المشركين في أنفسهم.

فأخرج البخاري عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: « **خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ: وَفِّرُوا اللِّحَى، وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ** »[٣].

---

(١) في«الكنى» (١٨٤٣). وله طريق آخر أخرجه البيهقي في«الكبرى»(٩/٣٩٢) بمثله. وبوب له بباب كَرَاهِيَةِ الدُّخُولِ عَلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ فِي كَنَائِسِهِمْ وَالتَّشَبُّهِ بِهِمْ يَوْمَ نَيْرُوزِهِمْ وَمِهْرَجَانِهِمْ بمثله.

(٢)أخرجه أبو داود (٤٠٣٣) وغيره بإسنادٍ جوَّده ابن تيمية فى «الفتاوى» (٢٥/ ٣٣١) عن ابن عمر، وله شواهد. وصحح إسناده العراقي فى «تخريج الإحياء» برقم (٨٥١) ط. مكتبة طبرية.

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٩٢) ومسلم (٢٥٩).

وفي صحيح مسلم [١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **جُزُّوا الشَّوَارِبَ، وَأَرْخُوا اللِّحَى خَالِفُوا الْمَجُوسَ**».

ومن ذلك: أمرهم بمخالفتهم في صَبغ شعر الرأس واللحية.

ففي الصحيح[٢] عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اليَهُودَ، وَالنَّصَارَى لاَ يَصْبُغُونَ، فَخَالِفُوهُمْ**».

ومن ذلك: المنع من اتخاذ القبور مساجد، ووضع التصاوير في دور العبادة: ما أخرجه البخاري[٣] عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ، وَأُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتَا كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِالحَبَشَةِ فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَذَكَرَتَا لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: « **إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، فَأُولَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**».

ومن ذلك : لعن النبي ﷺ الكفار لأعمال عملوها لئلا يتشبه الناس بهم في العمل ، أو يستحسنوا تصرفاتهم .

---

(١) برقم (٢٦٠).

(٢) برقم (٣٤٦٢) ومسلم (٢١٠٣).

(٣) برقم (٤٢٧) ومسلم (٥٢٨) .

فعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: فِي مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ «**لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» قَالَتْ: «فَلَوْلَا ذَاكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا »[1].

وفي رواية :[2] أَنَّ عَائِشَةَ، وَعَبْدَ الله بْنَ عَبَّاسٍ، قَالاَ: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ الله ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «**لَعْنَةُ الله عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا.

ومن ذلك : الأمر النبوي بمخالفتهم في صيام عاشوراء مع أنه ﷺ أقر صيامه شكرًا على أن نجى الله موسي ﷺ من عدوِّه فرعون:

فقال ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما إن النَّبِيَّ ﷺ، لَمَّا قَدِمَ المَدِينَةَ، وَجَدَهُمْ يَصُومُونَ يَوْمًا، يَعْنِي عَاشُورَاءَ، فَقَالُوا: هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ، وَهُوَ يَوْمٌ نَجَّى الله فِيهِ مُوسَى، وَأَغْرَقَ آلَ فِرْعَوْنَ، فَصَامَ مُوسَى شُكْرًا لله، فَقَالَ «**أَنَا أَوْلَى**

(١) أخرجه البخاري (١٣٣٠) ومسلم (٥٢٩).

(٢) أخرجها البخاري(٤٣٥) .

بِمُوسَى مِنْهُمْ» فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ(١).

ثم قال كما في حديث ابن عباس ﷺ: «لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ لَأَصُومَنَّ التَّاسِعَ»(٢).

& ومن سبل الوقاية للمسلم النهي عن الانخراط في أخلاقهم.

وقد ربَّى الصحابة ﷺ مَن يليهم على الاعتزاز بما في أيديهم من تعاليم دينهم، ولا يلتفتون إلى ما عند الكفار مما في كتبهم من علم:

قول ابْن عَبَّاسٍ ﷺ: «كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ وَكِتَابُكُمُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ أَحْدَثُ، تَقْرَءُونَهُ مَحْضًا لَمْ يُشَبْ، وَقَدْ حَدَّثَكُمْ أَنَّ أَهْلَ الكِتَابِ بَدَّلُوا كِتَابَ الله وَغَيَّرُوهُ، وَكَتَبُوا بِأَيْدِيهِمُ الكِتَابَ، وَقَالُوا: هُوَ مِنْ عِنْدِ الله لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا؟ أَلاَ يَنْهَاكُمْ مَا جَاءَكُمْ مِنَ العِلْمِ عَنْ مَسْأَلَتِهِمْ؟ لاَ وَالله مَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلًا يَسْأَلُكُمْ عَنِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٩٧).

(٢) كما في رواية مسلم(١١٣٤).

(٣) أخرجه البخاري(٧٣٦٣).

ومثله عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه[١] قال:« لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ، فَتُكَذِّبُوا بِحَقٍّ أَوْ تُصَدِّقُوا بِبَاطِلٍ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْدُوكُمْ وَيُضِلُّونَ أَنْفُسَهُمْ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ، إِلَّا وَفِي قَلْبِهِ تَالِيَةٌ تَدْعُوهُ إِلَى دِينِهِ كَتَالِيَةِ الْمَالِ»[٢].

فإِنْ كان المسلمون سَائِلِيهِمْ لَا مَحَالَةَ فَلينْظُرُوا مَا وافق كِتَابَ الله ، أو سنة رسوله ﷺ فَيأخُذُوهُ، وَمَا خَالَفَ كِتَابَ الله فَليدَعُوهُ.

وقد حسَّن بعض العلماء[٣]حديث جَابِرٍ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ الْكُتُبِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي أَصَبْتُ كِتَابًا حَسَنًا مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكِتَابِ قَالَ: فَغَضِبَ وَقَالَ: « **أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ**

---

(١) فيما أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٣١٣) وغيره وهو صحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) **تَدْعُوهُ إِلَى دِينِهِ كَتَالِيَةِ الْمَالِ**: داعية تدعوه إلى الاستمساك بدينه، سيجرّ المسلم إليها.

(٣) وهو الشيخ الألباني في«الإرواء»(١٥٨٩)وغيره، وراجع كتابي«الفوائد النيرة» (١٥٨٩).

نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُحَدِّثُونَكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ أَوْ بِبَاطِلٍ فَتَصَدَّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي».

وقد شهد المشركون بتعليم النبي ﷺ كل شيء لنا، فما لنا لا نعتزّ بديننا

فأخرج مسلم [١] عَنْ سَلْمَانَ، قَالَ: قَالَ لَنَا الْمُشْرِكُونَ إِنِّي أَرَى صَاحِبَكُمْ يُعَلِّمُكُمْ حَتَّى يُعَلِّمَكُمُ الْخِرَاءَةَ، فَقَالَ: أَجَلْ «إِنَّهُ نَهَانَا أَنْ يَسْتَنْجِيَ أَحَدُنَا بِيَمِينِهِ، أَوْ يَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ، وَنَهَى عَنِ الرَّوْثِ وَالْعِظَامِ».

وَقَالَ: «لَا يَسْتَنْجِي أَحَدُكُمْ بِدُونِ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ».

كما شهد الكفار بإتمام هذا الدين لنا- ووالله إنها لعزَّة وفرحة ما لها نظير:

ففي الصحيحين[٢] عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، أَنَّ رَجُلًا، مِنَ اليَهُودِ قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا، لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ اليَهُودِ نَزَلَتْ، لاَتَّخَذْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ عِيدًا. قَالَ: أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ:

(١) برقم (٢٦٢).

(٢) البخاري(٤٥) ومسلم (٣٠١٧).

{اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا} [المائدة: ٣] قَالَ عُمَرُ: «قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ، وَالمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ».

فتأمَّل اعتراف اليهودي!

& ومن الوقاية من العمل كعملهم معرفة أن الكفار يحسدون المسلمين على ما آتاهم الله من فضله[(١)]:

قال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ النساء.

وعَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**مَا حَسَدَتْكُمُ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ، مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ**»[(٢)].

---

(١) **والكفار قسمان:** قسم يحسدون المسلمين على ما آتاهم الله من فضله، فيغِلُّون عليهم وآخرون يل يبالون بالمسلمين أصلًا، ولا يعرفون عن دينهم كبير معرفة إلا ما أنبأهم به أكابر مجرميهم ولا يبحثون هم بحيوية عن حقيقة دين الإسلام، فهم مرتكسون في الحمأة وما لجُرح بميت إيلام.

(٢) أخرجه ابن ماجة(٨٥٦) بسندٍ صحيح.

وذلك للفضل العظيم الذي في ذلك .

وقال تعالى عن كفار مكة: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ الزخرف.

يعنون بالقريتين مكة والطائف، ويعنون بالرجلين رجلين لهما شأن فيهم، من عظماء قريش، ليس هو النبي ﷺ ، وذلك حسدًا منهم له عليه الصلاة والسلام، أن آتاه الله النبوَّة.

نعم حُقَّ للكافرين أن يحسدوا المسلمين:

على محاسن شريعتهم الوسطية السمحة، التي فيها وضع الله عنهم الإصر والأغلال التي كانت على الذين من قبلهم، وأحل فيها لهم بعض ما كان محرَّمًا على من قبلهم تيسيرًا عليهم، ونبيهم سيد الأنبياء، وأصحابه أفضل الأصحاب، وتولى سبحانه حفظ دينهم من التحريف واللعب الذي كان يقوم به الأحبار والرهبان المجرمون في كتابهم المقدَّس.

فقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجر.

وتميَّزت هذه الأمة عن باقي الأمم بما هيأه الله لهم

ولله در أهل الحديث حفظوا هذا الدين بحفظهم حديث رسول الله ﷺ

قال أبو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ رحمه الله: «لَمْ يَكُنْ فِي أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ مُنْذُ خَلَقَ الله آدَمَ أُمَنَاءُ يَحْفَظُونَ آثَارَ الرُّسُلِ إِلَّا فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ» فَقَالَ: لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا حَاتِمٍ رُبَّمَا رَوَوْا حَدِيثًا لَا أَصْلَ لَهُ وَلَا يَصِحُّ؟ فَقَالَ: « عُلَمَاؤُهُمْ يَعْرِفُونَ الصَّحِيحَ مِنَ السَّقِيمِ، فَرِوَايَتُهُمْ ذَلِكَ لِلْمَعْرِفَةِ لِيَتَبَيَّنَ لِمَنْ بَعْدِهِمْ أَنَّهُمْ مَيَّزُوا الْآثَارَ وَحَفَظُوهَا»[1].

فما لهم لا يحسدون المسلمين عل ما آتاهم الله من هذا الفضل والخير، الكبير العظيم، هداهم الله أو أخزاهم ، وأراح المسلمين من شرورهم .

والمقصود مما سبق:

أن الإسلام حذَّر من مخالطة الكفار إلا بحذر، ومنع من التشبه بهم، وبين ضلالهم ولعنهم من قِبَل الله، وأنهم مع اعترافهم أن النبيﷺ قد علمنا كل شيء حتى ما يتعلق بأبسط الأمور، وأن الكفار لم يؤمنوا بالذي أنزله الله عليه، ومع كل هذا يحسدون المسلمين على ما عندهم، وبعضهم لا يُظهر ذلك، وقد صار حالهم في طيَّات أنفسهم كما قال تعالى عنهم: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ الحجر.

---

(١) أخرجه عنه الخطيب البغدادي في«شرف أصحاب الحديث» ص٤٢ بسندٍ صحيح.

وقد صرَّح بعض الكفار بإعجابهم بدين الإسلام، إلا أنهم مع كل هذا حسدوا أهل الإسلام على إسلامهم، فهم يحسُدون المسلمين على ما آتاهم الله من فضله.

وقد بين الشرع ما صنعوا، وجاءنا الخبر عن رسول الله ﷺ أنه ما يريد شيئًا من أمرهم إلا خالفهم فيه .

فما بال بعض المسلمين ينكسرون ويفتنون بما عندهم ويستحسنونه ويمجِّدون تلك البلاد وبعض طبائعهم، في الوقت الذي يعترف المثقف من الكفار بعظمة هذا الدين ومحاسنه، ويحسدك أيها المسلم على ما أنت عليه؟!

& وقد حذَّر النبيُّ ﷺ من الاغترار بما عندهم في دنياهم من زهرة الحياة الدنيا:

ففي الصحيحين[1] في حديث الإيلاء الطويل قال عمر رضي الله عنه: «.. فجَلَسْتُ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فِي الْبَيْتِ، فَوَاللهِ، مَا رَأَيْتُ فِيهِ شَيْئًا يَرُدُّ الْبَصَرَ، إِلَّا أَهَبًا

(١) أخرجه البخاري (٥١٩١) ومسلم (١٤٧٩) واللفظ لمسلم .

ثَلَاثَةً[١]، فَقُلْتُ: ادْعُ اللهَ يَا رَسُولَ الله أَنْ يُوَسِّعَ عَلَى أُمَّتِكَ، فَقَدْ وَسَّعَ عَلَى فَارِسَ وَالرُّومِ، وَهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللهَ، فَاسْتَوَى جَالِسًا، ثُمَّ قَالَ: «**أَفِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ[٢]، أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**»، فَقُلْتُ: **اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ الله**.. الحديث.

وهو عين ما خشي منه ﷺ على المسلمين حين :

ففي الصحيحين [٣] عن البَرَاء بن عازب رضي الله عنه، قال: أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ حُلَّةُ حَرِيرٍ، فَجَعَلَ أَصْحَابُهُ يَمَسُّونَهَا وَيَعْجَبُونَ مِنْ لِينِهَا، فَقَالَ: «**أَتَعْجَبُونَ مِنْ لِينِ هَذِهِ؟ لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ خَيْرٌ مِنْهَا، أَوْ أَلْيَنُ**».

بل في الصحيحين قوله ﷺ :« **أَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللهِ لاَ الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**»[٤].

---

(١) الأهب: جمع إهاب وهو الجلد قبل دباغه.

(٢) خشي عليه ﷺ أن يفتن بما أعطاهم الله من زهرة الحياة الدنيا وزينتها كما يحصل لكثر من المسلمين اليوم حينما يقطن في بلاد الكفار.

(٣) أخرجه البخاري(٣٨٠٢) ومسلم (٢٤٦٨).

(٤) البخاري(٣١٥٨) ومسلم (٢٩٦١).

وحتى لا يفتن المسلمون بزخارف الكفار وأُعطيات الله لهم من زهرة الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الزخرف.

فلا تنخدع بما عليه الكفار من بهرج الحياة الدنيا وزينتها وبعض المزايا:

فكن على ضرب أسلافك تمضي فلهم مواقف مشرِّفة ﷺ:

@ لقد هجر النبي ﷺ كعب بن مالك ﷺ وأمر الصحابة ﷺ بهجر ، وكعب كان فصيحًا بليغًا شاعرًا لبيبًا، عالمًا بلغات غير العربية .

فعلم ملك غسان – عدو المسلمين– فأراد أن يغويه ببهرج الحياة الدنيا وزينتها، يريد أن يفتنه بالمال والمنصب والجاه الذي لديه، وبطريقة سَخِيَّة، وفي ظروف قاسية جدًا يمر بها كعب، من القطيعة والضيق الشديد ، قد جهده البلاء...

فقال ﷺ: «فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ المَدِينَةِ، إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّأْمِ، مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ، يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ

، فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ الله بِدَارِ هَوَانٍ، وَلاَ مَضْيَعَةٍ، فَالحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ[1]، فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا: وَهَذَا أَيْضًا مِنَ البَلاَءِ، فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا..الخبر[2].

@ ولقد هاجر جعفر بن أبي طالب من مكة إلى الحبشة ومعه عدد من أصحاب النبي ﷺ إلى بلاد الحبشة، إلى أمَّةٍ كافرة، على دين النصارى المحرَّف طالبين حالًا أحسن مما كانوا فيه في مكة أمَانًا ومَعيشَة.

فهل تأثَّروا بعقيدتهم، أو بالأمان الذي هم فيه ، ففتنوا بما وجدوا

---

(١) وكن بصيرًا أن ملك غسان اختار كعبًا دون بقية من تخلَّف، لكونه سيحقق به بغيه فقد كان شاعرًا عالى القدر. وفي صحيح البخاري قول عمر رضي الله عنه :« وَكَانَ مَنْ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدِ اسْتَقَامَ لَهُ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَلِكُ غَسَّانَ بِالشَّأْمِ، كُنَّا نَخَافُ أَنْ يَأْتِيَنَا» .

وفي صحيح البخاري ومسلم قوله رضي الله عنه :« وَكُنَّا تَحَدَّثْنَا أَنَّ غَسَّانَ تُنْعِلُ النِّعَالَ لِغَزْوِنَا ».

فما باله اليوم حنونًا ورؤوفًا وشفيقًا بكعب رضي الله عنه ؟!

لقد كان كعب رضي الله عنه بصيرًا أن وراء الأكمة ما وراءها.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم

النصارى عليه؟

@ وهذا زيد بن عمرو بن نفيل شخصيةٌ عجيبةٌ، كان وحيدًا فريدًا في أوساط عبدة الأصنام، والذبح لغير الله، والمحاربين للفضائل والمكارم.

أهل الجاهلية والشر بكل ما تحمله الكلمة من المعاني.

* كان في الفترة قبل النبوة بين كفار قريش، وقال لهم وقد قدَّموا سفرة له ليأكل منها مما كانوا قد ذبحوها على أنصابهم، فقال لهم: «إِنِّي لَسْتُ آكُلُ مِمَّا تَذْبَحُونَ عَلَى أَنْصَابِكُمْ، وَلاَ آكُلُ إِلَّا مَا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ، وَأَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو كَانَ يَعِيبُ عَلَى قُرَيْشٍ ذَبَائِحَهُمْ، وَيَقُولُ: الشَّاةُ خَلَقَهَا الله، وَأَنْزَلَ لَهَا مِنَ السَّمَاءِ المَاءَ، وَأَنْبَتَ لَهَا مِنَ الأَرْضِ، ثُمَّ تَذْبَحُونَهَا عَلَى غَيْرِ اسْمِ الله، إِنْكَارًا لِذَلِكَ وَإِعْظَامًا لَهُ». أخرجه البخاري.

* قالت أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما: رَأَيْتُ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ وَهُوَ مُسْنِدٌ ظَهْرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا مِنْكُمُ الْيَوْمَ أَحَدٌ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ غَيْرِي، وَكَانَ يُصَلِّي فِي الْكَعْبَةِ وَيَقُولُ: إِلَهِي إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ، وَدِينِي دِينُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ يُحْيِي الْمَوْءُودَةَ، فَيَقُولُ لِلرَّجُلِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَ ابْنَتَهُ: لَا تَقْتُلْهَا، إِلَيَّ فَأَنَا أَكْفِيكَ مَؤُونَتَهَا، حَتَّى إِذَا

تَرْعَرَعَتْ قَالَ: إِنْ شِئْتَ فَخُذْهَا الْآنَ، وَإِنْ شِئْتَ فَدَعْهَا أَكْفِيكَ مَؤُونَتَهَا، وَسُئِلَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ**»(١).

***كان باحثًا بصدق وعزم عن المنهج الحق الذي يريده الله سبحانه:**

لقي النبي ﷺ يوم قبل الرسالة فَحَيَّا أَحَدُهُمَا الْآخَرَ بِتَحِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا ابْنَ عَمِّ، مَالِي أَرَى قَوْمَكَ قَدْ شَنَّفُوكَ؟**(٢)» فَقَالَ: أَمَا وَالله إِنَّ ذَاكَ لِغَيْرِ ثَائِرَةٍ (٣)كَانَتْ مِنِّي فِيهِمْ، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرَاهُمْ عَلَى ضَلَالٍ فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي هَذَا الدِّينَ

(٤)فَأَتَيْتُ عَلَى أَحْبَارِ يَثْرِبَ فَوَجَدْتُهُمْ يَعْبُدُونَ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ وَيُشْرِكُونَ بِهِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا بِالدِّينِ الَّذِي أَبْغِي فَخَرَجْتُ حَتَّى أَتَيْتُ أَحْبَارَ خَيْبَرَ

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «المثاني» بسندٍ ثابت.

(٢) شَنَّفُوكَ: أي أبغضوك، الشنف من شدَّة البغض.

(٣) أي من غير سبب أو فعل كان مني، وفي رواية:« بِغَيْرِ نَائِرَةٍ كَانَتْ مِنِّي إِلَيْهِمْ ».

(٤) ومن أسباب رؤيته لهم أنهم على ضلالة ما قاله هو نفسه كما في رواية البخاري أن زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو كَانَ يَعِيبُ عَلَى قُرَيْشٍ ذَبَائِحَهُمْ، وَيَقُولُ: الشَّاةُ خَلَقَهَا الله، وَأَنْزَلَ لَهَا مِنَ السَّمَاءِ المَاءَ، وَأَنْبَتَ لَهَا مِنَ الأَرْضِ، ثُمَّ تَذْبَحُونَهَا عَلَى غَيْرِ اسْمِ الله، إِنْكَارًا لِذَلِكَ وَإِعْظَامًا لَهُ.

فَوَجَدْتُهُمْ يَعْبُدُونَ الله عَزَّ وَجَلَّ وَيُشْرِكُونَ بِهِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا بِالدِّيْنِ الَّذِي أَبْغِي، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَتَيْتُ أَحْبَارَ الشَّامِ فَوَجَدْتُهُمْ يَعْبُدُونَ الله عَزَّ وَجَلَّ وَيُشْرِكُونَ بِهِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا بِالدِّيْنِ الَّذِي أَبْغِي. فَقَالَ لِي: حَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الشَّامِ: إِنَّكَ لَتَسْأَلُ عَنْ دِينٍ مَا نَعْلَمُ أَحَدًا يُعْبَدُ الله تَعَالَى بِهِ إِلَّا شَيْخًا بِالْجَزِيرَةِ، فَخَرَجْتُ فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي خَرَجْتُ لَهُ، فَقَالَ لِي: إِنَّ كُلَّ مَنْ رَأَيْتُ عَلَى ضَلَالَةٍ فَمَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: أَنَا مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الله تَعَالَى وَمِنَ الشَّوْكِ وَالْقَرَظِ. قَالَ: فَإِنَّهُ قَدْ خَرَجَ فِي بَلَدِكَ نَبِيٌّ أَوْ هُوَ خَارِجٌ قَدْ خَرَجَ نَجْمُهُ فَارْجِعْ فَاقْصِدْهُ وَاتَّبِعْهُ وَآمِنْ بِهِ، فَرَحَلْتُ فَلَمْ أُخْبِرْ بِشَيْءٍ .

وهو خبر حسن أخرجه ابن أبي عاصم في«المثاني».

* خَرَجَ ﷺ إِلَى الشَّأْمِ[1] يَسْأَلُ عَنِ الدِّينِ، وَيَتْبَعُهُ، فَلَقِيَ عَالِمًا مِنَ اليَهُودِ فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِمْ، فَقَالَ: إِنِّي لَعَلِّي أَنْ أَدِينَ دِينَكُمْ، فَأَخْبِرْنِي، فَقَالَ: لاَ تَكُونُ عَلَى دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيبِكَ مِنْ غَضَبِ الله، قَالَ زَيْدٌ مَا أَفِرُّ إِلَّا مِنْ غَضَبِ الله، وَلاَ أَحْمِلُ مِنْ غَضَبِ الله شَيْئًا أَبَدًا، وَأَنَّى أَسْتَطِيعُهُ فَهَلْ تَدُلُّنِي عَلَى غَيْرِهِ، قَالَ: مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَنِيفًا، قَالَ زَيْدٌ: وَمَا

(١) كما في صحيح البخاري.

الحَنِيفُ؟ قَالَ: دِينُ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا، وَلاَ نَصْرَانِيًّا، وَلاَ يَعْبُدُ إِلَّا الله، فَخَرَجَ زَيْدٌ فَلَقِيَ عَالِمًا مِنَ النَّصَارَى فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَقَالَ: لَنْ تَكُونَ عَلَى دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيبِكَ مِنْ لَعْنَةِ الله، قَالَ: مَا أَفِرُّ إِلَّا مِنْ لَعْنَةِ الله، وَلاَ أَحْمِلُ مِنْ لَعْنَةِ الله، وَلاَ مِنْ غَضَبِهِ شَيْئًا أَبَدًا، وَأَنَّى أَسْتَطِيعُ فَهَلْ تَدُلُّنِي عَلَى غَيْرِهِ، قَالَ: مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَنِيفًا، قَالَ: وَمَا الحَنِيفُ؟ قَالَ: دِينُ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا، وَلاَ يَعْبُدُ إِلَّا الله، فَلَمَّا رَأَى زَيْدٌ قَوْلَهُمْ فِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ خَرَجَ، فَلَمَّا بَرَزَ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ أَنِّي عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ.

@ هذا جعفر بن أبي طالب أسلم قديمًا فحاربه الكفار ومن معه بكل سبيل.

تأمَّل عزَّته بدينه وشموخه بما اعتنقوه من معالم عظيمه أرساها النبي ﷺ فيهم فتأمَّل خطابه حين قال لملك الحبشة نفسه داعيًا ومعتزًّا بما هو عليه:

«أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ،

فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، « فَدَعَانَا إِلَى اللهِ لِنُوَحِّدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ "، قَالَ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلامِ، فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، فَعَبَدْنَا اللهَ وَحْدَهُ، فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا، فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الخَبَائِثِ».

ولماقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: وَاللهِ لأُنَبِّئَنَّهُمْ غَدًا عَيْبَهُمْ عِنْدَهُمْ، ثُمَّ أَسْتَأْصِلُ بِهِ خَضْرَاءَهُمْ، قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ - وَكَانَ أَتْقَى الرَّجُلَيْنِ فِينَا -: لَا تَفْعَلْ فَإِنَّ لَهُمِ ارْحَامًا، وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا. قَالَ: وَاللهِ لأخْبِرَنَّهُ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ، قَالَتْ: ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ

الْغَدَ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا، فَأَرْسِلِ الَيْهِمْ فَاسْأَلْهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ، قَالَتْ: فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ، قَالَتْ: وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلُهُ، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى إِذَا سَأَلَكُمْ عَنْهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَالله فِيهِ مَا قَالَ اللهُ، وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ، قَالَ لَهُمْ: مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا: هُوَ عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ، وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ، قَالَتْ: فَضَرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا، ثُمَّ قَالَ: مَا عَدَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ، فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ، فَقَالَ: وَإِنْ نَخَرْتُمْ وَالله اذْهَبُوا، فَأَنْتُمْ سُيُومٌ بِأَرْضِي - وَالسُّيُومُ: الْآمِنُونَ -[1]

@وموقف ورقة بن نوفل، وموقف سلمان الفارسي، وغيرهما كثير.

كم ثبت الصحابة مع الشدائد والصعاب وجمع مواقفهم تسع مصنفًا.

(١) والحديث في مسند أحمد بسندٍ حسن.

& وحذَّر جدًا وخوَّف ﷺ من اتباع سننهم:

ففي رواية الطيالسي[١] والطبراني بسندٍ صحيح قول أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ،: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ بِحُنَيْنٍ وَنَحْنُ حَدِيثُو عَهْدٍ بِكُفْرٍ فَمَرَرْنَا عَلَى شَجَرَةٍ يَضَعُ الْمُشْرِكُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ فَقَالَ:«الله أَكْبَرُ قُلْتُمْ كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ} [الأعراف : ١٣٨] ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَرْكَبُونَ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**».

وفي صحيح البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ**»، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِّ: اليَهُودَ، وَالنَّصَارَى قَالَ: «**فَمَنْ؟**»[٢].

والحاصل من الأخوة الذين يعيشون في بلاد الأعاجم عمومًا، أنه بسبب المعايشة والمخالطة، والمجالسة، والكلام من غير ضبط بضوابط

---

(١) برقم(١٤٤٣) وغيره.

(٢) أخرجه البخاري(٣٤٥٦) ومسلم (٢٦٦٩).

الشرع التي تقدم ذكر بعضها، بسبب ذلك تشرَّب كثير منهم بعض طباع السوء من الكفار.

كما أن أطفال المسلمين ونساءهم أكثر تشرُّبًا للطباع من الكفار.

فذابت طباع كثير من المسلمين، والتي كان من المفترض أن تكون طباعهم ومفاهيمهم حسب مفاهيم دين الإسلام، وأفكار المسلمين المستقاة من الكتاب والسنة وكلام أصحاب رسول الله ﷺ، فتكون في حدِّ ذاتها دعوة لغيرهم للإسلام، وتعاليمه الرشيدة الحميدة، ولكن للأسف تذوب طباعهم مع طباع الكافرين، فلا ترى كبير فرق في الشبه بينهم وبين المسلمين الذين يعيشون في أوربا وبلاد الأعاجم.

صرتَ لا تفرِّق بين طباع المغضوب عليهم الضالين، وبين طباع أتباع من أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء، وصرت ترى المسلم وكأنه ما يعرف عنه إلا أنه في الوثيقة الرسمية ديانته الإسلام ! الله المستعان.

بل تجذَّرت طباع السوء ومفاهيم السوء، وعادات السوء في الأطفال والنساء والرجال المسلمين، منذ نعومة أظفارهم.

بل صار كثير من النساء والأولاد والأخوة المسلمون، يكرهون الإقامة في بلاد الإسلام، وترك بلاد الكفر.

بل بعضهم يعتز – وإلى الله المشتكى – بأن معه إقامة أوربية، أو أمريكية أو بريطانية ...

بل ويتفاخر – المسكين الضائع – على المسلمين بحصوله على جنسية أوربية أو غيرها من جنسيات بلاد الأعاجم[1]، والله المستعان.

إن هؤلاء بطبائعهم وأخلاقهم وعقيدتهم وسلوكهم ذاك لا يقدرون على نشر ثقافة دينهم الإسلامي في تلك المجتمعات الكافرة المليئة بكل ما يناقض ثقافة الإسلام، وعقيدة أهل الإسلام بمعنى الكلمة.

لا سيما وهم يتفنَّنون في سن القوانين التي تتضمَّن حرب الإسلام ومفاهيمه وثقافته، وتجاهل منازل أتباعه بل عدم تجريم من يتكلم ويشين نبيّ الإسلام وعقيدته ومبادئه وقِيمه التي أرساها في المجتمع الإنساني كل

---

(١) نظرًا لعدم التعرُّض له بسبب أن كثيرًا من الدول تتقي دولته من باب «**إن شر الناس من تركه الناس اتقاء فحشه**»، وكون الدولة التي هو فيها توفِّر لمنتحلي جنسيَّتها بعض الحمايات والخدمات كرواتب شهرية، وخدمات معينه لمن يحمل جنسيتها.

ذلك تحت مظَّلة الحرية الإنسانية.

ولا والله ما فهموا معنى الحرية الحقيقية ، ولا ذاقوا لها طعمًا.

فمتى أراد المسلم في هذه البلاد التخلُّص مما علق به وأخَّره عن نشر العلم والوعي الدِّيني، والثقافة الإسلامية.

وهذا أوان تناول الأسباب التي أدَّت إلى تأخر نشر العلم والثقافة الإسلامية في بلاد أوربا وغيرها من بلاد الأعاجم، وبالله التوفيق.

أسباب تأخر العلم والثقافة الإسلامية في أوربا وغيرها من بلاد الأعاجم

أولًا: قلَّة العلماء في تلك البلاد بلاد الأعاجم:

بل ندرة طلبة العلم ذوي الهمم العالية في تلك البلاد.

أولئك الذين يُضَحُّون في سبيل الطلب، فيبذلُون في سبيل تحصيله الغالي والنفيس.

وأنصح بالاطلاع على حال طلبة العلم قديمًا، بل وحديثًا، فأحوالهم مشهورة، وقد أُلِّفت فيهم مؤلفات.

وانظر كتب تراجم رجال الحديث، ورواه السنن، تجدها طافحة بما يشحذ الهمم لطلب العلم، ويعرف الكسالى في أنفسهم .

ومعلوم عند غياب العلماء تحصل مصيبتان كل منهما أخطر من الأخرى والثانية متولِّده عن الأولى:

الأولى: اتخاذ الناس رؤساء جهَّال، ونتيجة ذلك: ضلال الرئيس ومن ترأس عليه، وهي نتيجة حتمية.

وقد بينها رسول الله ﷺ فقال: «**إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ**

النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا» [1].

فعند غياب العلماء تحصل نتيجة حتمية وهي ترأس الجهَّال الذين يضلون الناس بسبب جهلهم الذي هو سبب ضلالهم« **فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا** ». فينتج عن هذا:

الثانية: وهو ظهور أنصاف المتعلمين، والصحفية وغير المؤهَّلين من الصغار، وأهل الأهواء والبدع فيشغلون الساحة عن العلماء الحقيقيين، ذوي التجارب والفراسات والعلم، يبعدونهم أكثر.

فأنصاف المتعلمين والله هم منشأ الشر والفتن في الدعوة إلى الله.

وقد قال الشوكاني عن تلك الطبقة المتوسِّطة في العلم قال:

« والطبقة المتوسطة هي منشأ الشَّرّ وَأصل الْفِتَن الناشئة في الدِّين وهم الَّذين لم يمعنوا في الْعلم حَتَّى يرتقوا إلى رُتْبَة الطَّبَقَة الأولى وَلَا تَرَكُوهُ حَتَّى يَكُونُوا من أهل الطَّبَقَة السافلة فإنهم إذا رَأَوْا أحداً من أهل الطَّبَقَة الْعليا يَقُول مَالا يعرفونه مِمَّا يُخَالف عقائدهم الَّتِى أوقعهم فِيهَا الْقُصُور صوَّبوا إليه سِهَام الترقيع ونسبوه إلى كل قَول شنيع وغيّروا فطر أهل

(١) أخرجه البخاري(١٠٠) ومسلم (٢٦٧٣).

الطَّبَقَة السُّفْلى عَن قبُول الْحق بتمويهات بَاطِلَة فَعِنْدَ ذَلِك تقوم الْفِتَن الدِّينِيَّة على سَاق»(١).

وقد قال ابنِ عباسٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قالَ: «**الْبَرَكَةُ مَعَ أَكَابِرِكُمِ**»(٢)

وعَنْ أَبِي أُمَيَّةَ اللَّخْمِيِّ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:« **إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ثَلَاثَةً: إِحْدَاهُنَّ أَنْ يَلْتَمِسَ الْعِلْمَ عِنْدَ الْأَصَاغِرِ**».(٣)

وَعَنِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قالَ:«لَا يَزَالُ النَّاسُ صَالِحِينَ مُتَمَاسِكِينَ مَا أَتَاهُمُ الْعِلْمُ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمِنْ أَكَابِرِهِمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ مِنْ أَصَاغِرِهِمْ هَلَكُوا»(٤).

---

(١) «البدر الطالع»(١/ ٤٧٣).

(٢) صحيح . أخرجه ابن حبان فى « صحيحه » (٥٥٩) .

(٣) أخرجه المروزي فى زوائد ابن المبارك فى «الزهد»(٦١) ، واللالكائي فى«شرح أصول الاعتقاد» (١٠٢) وإسناده حسن.

(٤) أخرجه معمر (٢٠٤٤٦ ، ٢٠٤٨٣ مصنف)، والطبراني فى « الكبير»(٩/ ١١٤) رقم (٨٥٩٠) من طريق معمر عن أبي إسحاق عن سعيد بن وهب عن ابن مسعود رضي الله عنه به . ورجاله ثقات.

وقالَ عمرُ ﷺ :« أَلَا وَإِنَّ النَّاسَ بِخَيْرٍ مَا أَخَذُوا الْعِلْمَ عَنْ أَكَابِرِهِمْ ، وَلَمْ يَقُمِ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ ، فَإِذَا قَامَ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ فَقَدْ».

وفي روايةٍ :«أَلَا إِنَّ النَّاسَ لَمْ يَزَالُوا بِخَيْرٍ مَا أَتَاهُمُ الْعِلْمُ عَنْ أَكَابِرِهِمْ »[1] .

فاحذَر مُجَالسَتَهُمْ ، فضلاً عَنِ السَّماعِ منهُمْ، أو التَّعلُّمِ عندَهُمْ .

وَفِي مُصَنَّفِ قَاسِمِ بْنِ أَصْبَغَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ[2] عَنْ عُمَرَ ﷺ قال: فَسَادُ الدِّينِ إِذَا جَاءَ الْعِلْمُ مِنْ قِبَلِ الصَّغِيرِ اسْتَعْصَى عَلَيْهِ الْكَبِيرُ وَصَلَاحُ

.....

وأخرجه البيهقي في«المدخل»(٢٧٥)من طريق شُعْبَة، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ عَبْدِ الله قَالَ: «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا أَخَذُوا الْعِلْمَ عَنْ أَكَابِرِهِمْ وَعَنْ أُمَنَائِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ، فَإِذَا أَخَذُوهُ مِنْ أَصَاغِرِهِمْ وَشِرَارِهِمْ هَلَكُوا» وسنده بهذا اللفظ يحسن إن شاء الله.

(١) **إسناده قوي** أخرجه اللالكائي فى «شرح أصول الاعتقاد» (١٠٠)، وابن عبد البر فى« الجامع» (١٠٥٤) ، والرواية الأخيرة له، ولفظه بتمامه: « أَلَا إِنَّ أَصْدَقَ الْقِيلِ قِيلُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، أَلَا إِنَّ النَّاسَ...» .

(٢) فيما قاله الحافظ في«فتح الباري»(١٣/ ٣٠٢) ولم أقف على الكتاب لأنظر في سنده.

النَّاسِ إِذَا جَاءَ الْعِلْمُ مِنْ قِبَلِ الْكَبِيرِ تَابَعَهُ عَلَيْهِ الصَّغِيرُ(١).

فعند غياب العلماء يظهر الكسل، وقله التحصيل، والمنهج الصحيح، وتظهر البدع، وإفساد المعتقد.

فحتى المريد للخير والعلم من الشباب لا يبلغ ما يريد للحيلولة بينه وبين العلماء المبينين للناس السنة والبدعة والصديق والعدو والحق والباطل ...إلخ.

وكيف وقد انشغلت الساحة بغيرهم؟

وهذا هو عين الحاصل في أوربا وغيرها من بلاد الأعاجم، ولا شك أن غياب العلماء رأس كل بلية، والله المستعان.

فليُحَصِّل الشَّبَاب ذلك بالسَّفر للعلماء، والاسترشاد بآرائهم وتوجيهاتهم، والاطلاع على مؤلفاتهم.وكثرة زياراتهم، واللقاءات بهم، ولو على شبكات التواصل.

وليتحرّ الناس عمَّن يأخذون العلم، فالعلم دين، لا يأخذه الإنسان عن أي أحد، بل لا يأخذه إلا عن العالم السُّني لئلا يُحرِفه ويُضِلّه ثم يكبر

(١) وله طرق أخر لا يُفرح بها ذكرتها في كتابي« عوائق في طريق طلبة العلم الشرعي ».

في الضلال، وهو مسكين لا يدري، يظن أنه على خير كثير وهو منحرف[١]

ثانيًا من أسباب تأخُّر العلم في تلك البلاد:

ضعف الهمة العالية عند المتعلمين من طلَّاب العِلم والطالبات بسبب كثرة الشواغل الدنيوية حيث يجاري الطلاب العوائد التي اعتادها الناس وألِفوها، في المعيشة، والانفكاك عن إلف العادة صعب.

فإذا انضم ذلك إلى قلَّة الناصحين من ذوي الخبرة الواسعة، وأهل التوجيه المؤهَّلين، فلا ترى إلا دناءة الهمَّة بل البلادة وعدم الحيوية عند كثير من المنتسبين للإسلام في تلك البلاد، ثم ينشأ الأطفال والشباب من تحت عباءتهم على تلك الحال.

---

(١) وحتمًا لابد أن يتعرَّف– لا سيما المبتدئ- على مجمل أصول أهل السنة والجماعة، فمتى وجد شخصًا ليس على هذا المنهج، أو مُخلًّا بأي منها فيبتعد عنه، فليس بعالم وإن روَّج له الحركيون ممن هم على شاكلته الخدَّاعين للناس، بل لا تصاحب إلا تقيًا، ولا تدرس العلم إلا عند السنِّي الذي هو على نهج الكتاب والسنة كما فهمها الصحابة ﷺ حقيقة، فلا تتعلم عند حزبي أو خارجي، أو ثوري أو صوفي خرافي، أو أشعري، أو أحمدي من أتباع ميرزة، أو حبشي أو غيرهم ممن يخالفون أصول أهل السنة.

بل من يدخل الإسلام جديدًا يظن أن الإسلام هكذا: تقصير في العبادات وفي معرفة الدين، وعدم النهمة في التطلُّع إلى الثقافة في دين الإسلام وتعاليمه.

مع أن الداخل في الإسلام جديدًا يدعوه دخوله إلى حب التطلُّع لتعاليم هذا الدين الجديد بنهمة، لكنه يرى سلبية من المسلمين في تلك الجوانب، فيعتقد أن هذا هو الإسلام.

فما يرشده أحد إلى التعلَّم والتثقيف والاطلاع على تعاليم الإسلام.

فقط المهم أنه أسلم، فيصبح ضعاف الهمَّة هم أسوة لكل داخل في الإسلام جديدًا.. وهكذا.

ومعالجة هذا السبب يكون ببعث اليقظة والشعور بالمسئولية تجاه الدين وحملة هذا الدين ومعتنقيه بمجرد الاعتناق، فما إن يُسلِم إلا ويتوجَّه أو يوجَّه إلى أهل العلم يتعرف على الدين الذي اعتنقه، ويتعلَّم من العلوم ما يعينه على فهم دينه من مصادره الأصيلة، فيتولى الإسلام والمسلمين، ويبرأ من الشرك والمشركين، ويوالي ويعادي بعلم لا بجهل واندفاع أجوف، يجلب به على نفسه وإخوانه الفتن والمحن والابتلاءات في البلاد

التي يعيش فيها[١].

ومن المعالجة أيضًا: الاطلاع على أحوال السلف من الصحابة ﷺ كيف أنهم بمجرَّد إسلامهم عملوا لمصلحة هذا الدين بجد ونشاط.

وها أنا أذكر أربع أمثلة فقط من أحوال بعض الصحابة ﷺ حينما أسلموا ماذا صنعوا، وتأمَّل حيويتهم:

١ -ضماد الأزدي ﷺ:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ ضِمَادًا، قَدِمَ مَكَّةَ وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنُوءَةَ، وَكَانَ يَرْقِي[٢] مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ[٣]، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ، فَقَالَ: لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ، قَالَ فَلَقِيَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، وَإِنَّ اللهَ يَشْفِي عَلَى يَدِي مَنْ شَاءَ، فَهَلْ لَكَ؟

---

(١) كالذين يخربون أو يفجرون أو يسيئون إلى الكفار ويتسفَّهون على أهل البلدة التي دخلوا فيها بعقد أمان، ثم يعتدون عليهم، ويسرقون أموالهم .. ونحو ذلك بحجة أنهم كفار.

(٢) يرقي: من الرقية وهي العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة.

(٣) من هذه الريح: المراد بالريح هنا الجنون ومس الجن.

[١] فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ**» قَالَ: فَقَالَ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ، وَقَوْلَ الشُّعَرَاءِ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، وَلَقَدْ بَلَغْنَ نَاعُوسَ الْبَحْرِ[٢]، قَالَ: فَقَالَ: هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَى الْإِسْلَامِ، قَالَ: فَبَايَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **وَعَلَى قَوْمِكَ**»، قَالَ: وَعَلَى قَوْمِي، قَالَ: فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَرِيَّةً، فَمَرُّوا بِقَوْمِهِ، فَقَالَ صَاحِبُ السَّرِيَّةِ لِلْجَيْشِ: هَلْ أَصَبْتُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ شَيْئًا؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَصَبْتُ مِنْهُمْ مِطْهَرَةً، فَقَالَ: رُدُّوهَا، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمُ ضِمَادٍ.[٣]

فتأمَّل حيويته وسرعته رضي الله عنه في الاستجابة للحق، وكيف كان من

---

(١) فهل لك: أي فهل لك رغبة في رقيتي وهل تميل .

(٢) ناعوس البحر : معناه وسطه، أو لجَّته، أو قعره الأقصى.

(٣) صحيح ، أخرجه مسلم (٨٦٨).

أخير الناس لقومه رضي الله عنه ، وكم جلب لهم من الخير؟

إنه قد عرف فلزم، وسهَّل وصول الهداية لقومه رضي الله عنه ، حتى بعد موته ورحيله عنهم.

٢- أبو ذر الغفاري رضي الله عنه :

وقصَّة إسلامه يحكيها ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنه ، قَالَ: لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ لِأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَى هَذَا الوَادِي فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، يَأْتِيهِ الخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ، وَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ ائْتِنِي، فَانْطَلَقَ الأَخُ حَتَّى قَدِمَهُ، وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ لَهُ: رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ، وَكَلاَمًا مَا هُوَ بِالشِّعْرِ، فَقَالَ: مَا شَفَيْتَنِي مِمَّا أَرَدْتُ[١]، فَتَزَوَّدَ وَحَمَلَ شَنَّةً[٢] لَهُ فِيهَا مَاءٌ، حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، فَأَتَى المَسْجِدَ فَالْتَمَسَ النَّبِيَّ ﷺ وَلاَ يَعْرِفُهُ، وَكَرِهَ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ حَتَّى أَدْرَكَهُ بَعْضُ اللَّيْلِ، فَاضْطَجَعَ فَرَآهُ عَلِيٌّ فَعَرَفَ أَنَّهُ غَرِيبٌ، فَلَمَّا رَآهُ تَبِعَهُ فَلَمْ يَسْأَلْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَصْبَحَ، ثُمَّ احْتَمَلَ قِرْبَتَهُ وَزَادَهُ

---

(١) مَا شَفَيْتَنِي مِمَّا أَرَدْتُ: ما بلَّغتني غرضي وأزلت عني هم كشف هذا الأمر .

(٢) شنة : القربة البالية .

إِلَى المَسْجِدِ، وَظَلَّ ذَلِكَ اليَوْمَ وَلاَ يَرَاهُ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى أَمْسَى، فَعَادَ إِلَى مَضْجَعِهِ، فَمَرَّ بِهِ عَلِيٌّ فَقَالَ:

أَمَا آن لِلرَّجُلِ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَهُ؟ فَأَقَامَهُ فَذَهَبَ بِهِ مَعَهُ، لاَ يَسْأَلُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الثَّالِثِ، فَعَادَ عَلِيٌّ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ، فَأَقَامَ مَعَهُ ثُمَّ قَالَ: أَلاَ تُحَدِّثُنِي مَا الَّذِي أَقْدَمَكَ؟ قَالَ: إِنْ أَعْطَيْتَنِي عَهْدًا وَمِيثَاقًا لَتُرْشِدَنِّي فَعَلْتُ، فَفَعَلَ فَأَخْبَرَهُ، قَالَ: فَإِنَّهُ حَقٌّ، وَهُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَاتْبَعْنِي، فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ شَيْئًا أَخَافُ عَلَيْكَ قُمْتُ كَأَنِّي أُرِيقُ المَاءَ، فَإِنْ مَضَيْتُ فَاتْبَعْنِي حَتَّى تَدْخُلَ مَدْخَلِي فَفَعَلَ، فَانْطَلَقَ يَقْفُوهُ[1] حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَدَخَلَ مَعَهُ، فَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي**» قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَصْرُخَنَّ بِهَا[2] بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ[3]، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى المَسْجِدَ، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ

(١) يَقْفُوهُ: يتبعه.

(٢) لَأَصْرُخَنَّ بِهَا: لأرفعن صوتي بها.

(٣) بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ: أي بينهم.

مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، ثُمَّ قَامَ القَوْمُ فَضَرَبُوهُ حَتَّى أَضْجَعُوهُ، وَأَتَى العَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ، قَالَ: وَيْلَكُمْ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غِفَارٍ، وَأَنَّ طَرِيقَ تِجَارِكُمْ إِلَى الشَّأْمِ، فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ، ثُمَّ عَادَ مِنَ الغَدِ لِمِثْلِهَا، فَضَرَبُوهُ وَثَارُوا إِلَيْهِ، فَأَكَبَّ العَبَّاسُ عَلَيْهِ[1].

فتأمَّل كم جهد نفسه لمعرفة الحق والوصول إليه، ولما عرفه ووصل إليه صرخ بالحق ودعى إليه في وجوه أعتى عتاة الأرض، عزَّة بدينه ونصرة له في بلاد الكفر وبين أظهرهم، وإن كلَّفه ذلك إهانة من سب وضرب ونحو ذلك فرضي الله عنه .

٣- وأخوه أنيس الغفاري رضي الله عنه - ذُرِّيَّة بعضها من بعض- لما أتى النبي ﷺ وكان أنيس رضي الله عنه أحد الشعراء المشهورين، أرسله أبوذر الغفاري يستثبت له حال النبي ﷺ فرجع فقال له :«لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ، فَمَا هُوَ بِقَوْلِهِمْ، وَلَقَدْ وَضَعْتُ قَوْلَهُ عَلَى أَقْرَاءِ الشِّعْرِ، فَمَا يَلْتَئِمُ عَلَى لِسَانِ أَحَدٍ بَعْدِي، أَنَّهُ شِعْرٌ، وَاللهِ إِنَّهُ لَصَادِقٌ، وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ....»[2]

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٣٨٦١) ومسلم (٢٤٧٤) .

(٢) وهذا في صحيح مسلم (٢٤٧٣).

وكان من جرَّاء ذلك أن :

أَسْلَمَ نِصْفُ قبيلة غفار وَكَانَ يَؤُمُّهُمْ أَيْمَاءُ بْنُ رَحَضَةَ الْغِفَارِيُّ وَكَانَ سَيِّدَهُمْ. وَقَالَ نِصْفُهُمْ: إِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَسْلَمْنَا، فَقَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمُ الْبَاقِي وَجَاءَتْ أَسْلَمُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِخْوَتُنَا، نُسْلِمُ عَلَى الَّذِي أَسْلَمُوا عَلَيْهِ، فَأَسْلَمُوا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**غِفَارُ غَفَرَ اللهُ لَهَا، وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا اللهُ**» الله أكبر.

٤ – ثمامة بن أثال رضي الله عنه :

قال أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي المَسْجِدِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ ، فَقَالَ: «**مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟**» فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ المَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتُرِكَ حَتَّى كَانَ الغَدُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «**مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟**» قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ: إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الغَدِ، فَقَالَ: «**مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟**» فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، فَقَالَ: «**أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ**» فَانْطَلَقَ إِلَى نَجْلٍ قَرِيبٍ مِنَ المَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ

المَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللهِ مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ البِلاَدِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ العُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ، قَالَ: لاَ، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلاَ وَاللهِ، لاَ يَأْتِيكُمْ مِنَ اليَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ، حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ[1].

فتأمَّله من اللحظة الأولى التي أسلم فيها، لحظات ولحيويته صار يوالي أولياء الله ورسوله، ويعادي أعداء الله ورسوله، ومن لا يدين بالإسلام بقلبه وفعله وقوله، والعجيب دون أن يطلب منه النبي ﷺ أن يصنع ما صنع! الله أكبر!

ودونكم قصة سلمان رضي الله عنه مشهورة، فيها فوائد جمَّة في هذا الباب. والأخبار في هذا الباب كثيرة هي تسع مصنَّفًا مستقلًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٧٢) و مسلم (١٧٦٤).

ثالثًا من أسباب تأخر العلم والثقافة: كثرة المعاصي في تلك البلاد تحرم النفع والبركة والهدى.

ومن أعظم البركة نشر الوعي الديني والثقافة الإسلامية.

فالمعاصي أمُّ الفساد وتمنع البركة وتجلب الشَّر، وتؤخر التوفيق والسَّداد أو تمنعه.

وما أكثر المعاصي في تلك البلاد، والمعصية تجلب المعاصي كما أن الهداية والطاعة تجلب هداية وطاعة.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾ ﴾ محمد.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا ﴿٧٥﴾ ﴾ مريم: ٧٥

فكم من مخالفة حرمت توفيقًا وسدادًا في العلم والخير، ومن جرَّب عرف،وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ .

والله تعالى لا يظلم مثقال ذرة، ولكن الناس أنفسهم يظلمون.

فمن أسباب تأخر العلم والثقافة الدينية كثرة المعاصي، تلك التي

ألفها الناس في تلك البلاد حتى تبلَّد إحساس كثير منهم، وماتت أنفسهم اللَّوامة عند سوادهم الأعظم، فصارت لا تلومهم على فعل المنكر، أو رؤيته، والله المستعان.

والعلاج يكون: بالإقلاع عن المعاصي والتخلُّص من آثارها بالاستغفار وغير ذلك من مكفرات الخطايا.

وعلاج ذلك أيضًا بالتوبة النَّصُّوح، والإقلاع عن المعاصي، وكثرة الاستغفار والقيام بأسباب التخلص من الذنوب أول بأول بتناول مكفرات الخطايا، وكثرة الاستعاذة بالله من الكسل، كما كان رسول الله ﷺ يكثر من الاستعاذة بالله منه

وكذلك من أسباب تأخُّر العلم : الكسل عن العبادات والطاعات، وطلب العلم والتفقه في الدين، وكثرة الانشغال بالملهيات ، وعدم الحرص على المنافع، والحرص على معالي الأمور..

كل هذا مانع من تحصيل العلم والثقافة في الدين، فكيف يبثّ في الناس ما هو منشغل عن تحصيله؟!

واعلم أن ماديَّة الحياة مُشغِلة عن التعلُّق بالقيم والمباديء ومنها

الثقافة الإسلامية، وعلو الهمة في تعلُّم ما يدعو إليه الدين وتعليمه للغير ونشره بين الأنام، والرضى بالقليل من أمور الدنيا.

والعمل على رفع الهمة والتمسك بمعالي الأمور مهم.

قال أنس ﷺ: «كُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، إِذَا نَزَلَ، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالبُخْلِ وَالجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ**»[1].

رابعًا: التعسُّف في محاربة المستقيمين، وطلاب العلم في هذه البلاد.

هذه الدول لا تخضع لتعاليم الإسلام، وفيها الكفر البَيِّن بانحِلاله وفوضويته، وإباحيَّته المُطلَقة في الأخلاق والمعاملات والمعتقدات- إلا تعاليم معتقد الإسلام- فيكيلون بمكيالين- إزدواجية المعايير-

ففي الوقت الذي تزعم تلك الدول مراعاة الحرية – وهي بهيمية – حتى الإباحية تحت مظلة الحرية الشخصية.

ففي الوقت الذي فيه هناك التجرُّد من كل فضيلة ونشر الفساد الأخلاقي حتى تسويغ شتم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام... كل ذلك

(١) أخرجه البخاري (٢٨٩٣).

تحت ستار الحرية.

إذا بتلك الدول تمنع المسلمة من لبس الحجاب، وتضيِّق على المسلم وتقيد بعض تصرفاته التي تخضع لتعاليم دينه !

ففي بلاد الكفر يحارب تعاليم الإسلام الحنيف، ربما بحجة فساد بعض أتباع هذا الدين كأفعال بعض أهل البدع مثلًا.

فينتشر في المجتمع أنه إرهابي، وينالـه السخرية مما يعتقد، بل وينال من نبيه ﷺ الذي يعتقد عصمته، وكونه رسولًا مبعوثًا من عند الله تعالى، وأن أصحابه خير البشر بعد الأنبياء عليهم السلام، وقد أَمروا بكل جميل حسن في معتقد وسلوك، حتى التسويغ لبعضهم بإحراق المصحف، وإن النبي ﷺ.

وهذا فيه إيلام لشخصه، وغيظ له، فأين الحرية المزعومة ومراعاة مشاعر الآخرين.

لماذا لا يحترمون دين المسلمين، وتعاليم دين المسلمين، ونبي المسلمين، ما دامت حرية...

فلماذا لم يترك المسلم والمسلمة لممارسة تعاليم دينهم، وما يحب

تحت ستار الحرية ؟!

والمقصود أن هذا التعسُّف إذا لاقى نفوسًا ضعيفة لا تعرف معنى للمصابرة، وقوة التحمل، والصلابة والاعتصام بالمنهج الإسلامي، وعزَّة النفس بالدين، وصدق المواجهة، والتصدِّي للباطل، فإنها تسقط أمام تلك التحديات الكثيرة، ولا تثبت، بل تذوب مع الواقع المؤلم ذوبان ما بين كامل وناقص كما يُرى.

ولكن بين كل الفينة والأخرى تلوم المسلم نفسُه، وتُحَدِّثه بمعالي الأمور، والانتقال إلى بلاد العرب والإسلام، ومدارسة العلم الشرعي، والاتصال بالعلماء للخلاص مما هو فيه.

ثم لم تلبث همَّته أن تنطفئ شعلة النشاط التى أيقظتها نفسه اللَّوَّامة في داخله، ولكن ما يلبث أن يعود مرة أخرى يذوب في المجتمع المحيط به، فلا يساعده مجتمعه على تنمية ما أيقظته إليه نفسه اللوامة التي بداخله، فإذا صادف هذا الواقع قلة الناصحين، والمعينين على المضيّ قُدمًا نحو المعالى، فما أمامه إلا اليأس التام، وإنما تقهقره مُجرد وقت، والله المستعان.

وعلاج ذلك:

هو في عزلة القلب والنفس عن هذا المجتمع الذي لا يعينه.

فلا يختلط به إلا فيما لابد له منه، وينظر إليه بعين السوء والحقارة والنقص حتى لا يتأثَّر به.

وقد أرشدت الآية والحديث إلى ذلك:

الآية قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ الكهف.

وحديثان:

أحدهما: قوله ﷺ: «**مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجَلِيسِ السَّوْءِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ المِسْكِ وَكِيرِ الحَدَّادِ، لاَ يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ المِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وَكِيرُ الحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ، أَوْ ثَوْبَكَ، أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً**»[1].

والثاني: قوله ﷺ: «**كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ**

(١) أخرجه البخاري(٢١٠١) ومسلم (٢٦٢٨).

تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ[١] فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ[٢]، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ»[٣].

يقول بعض العلماء[٤] عمن يبتلى بمخالطة بعض من هذا الضرب

---

(١) تأمَّل علو همَّته لا ينبغي أن يسأل أي أحد بل في المرتين: «سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ»!

(٢) فتأمَّل!

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٦٦).

(٤) وهو ابن القيم في «بدائع الفوائد» (٢/ ٢٧٥).

ولابد له من مخالطته، يقول:«من نكد الدنيا على العبد أن يبتلى بواحد من هذا الضرب وليس له بد من معاشرته ومخالطته فليعاشره بالمعروف حتى يجعل الله له فرجا ومخرجا».

فما بالُك إذا كان مبتليًا لا بواحد من هؤلاء، بل بمجتمع بأطيافه كلهم على هيئة هذا الواحد؟

فعلى المستقيمين في هذه البلاد أن يجالس بعضهم بعضًا، يجتمعون على مجلس علم، ويرتبطون بعالم، أو طالب علم منهم أو من خارج مكانهم، ويكون متقدِّمًا عنهم، يسلِّي بعضهم بعضًا في تلك البلاد حتى يجعل الله لهم فرجًا ومخرجًا.

كما يبتعدون عن صحبة من لا يربحون عليهم في دين أو دنيا، وإنما يخالطهم بقدر الضرورة.

ثم حديثهم – أعني الصحابة ﷺ –إذا كان في غير الدين يكون عن فهم الواقع، وحقيقة الحضارة الكافرة ومساوئها، وأنها لا تنفع، وتناول وجوه الضرر فيها، مع تسفيهها، والتقليل من شأنها، والحذر منها.

ففي صحيح مسلم [١] عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، قَالَ: قُلْتُ لِجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ :أَكُنْتَ تُجَالِسُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ؟

قَالَ: نَعَمْ كَثِيرًا، «كَانَ لَا يَقُومُ مِنْ مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الصُّبْحَ، أَوِ الْغَدَاةَ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ قَامَ، وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ فَيَأْخُذُونَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَيَضْحَكُونَ وَيَتَبَسَّمُ».

فلتُتناول سيرة الرسول ﷺ ويُنظر فيها، وفيما كان بين الصحابة ﷺ ، والنظر في معاليهم ودعوتهم التي كانوا عليها، والله المستعان .

فلقد كان النبي ﷺ يواجه تعسُّف كفار قريش أعتى عتاة الأرض في ذلك الوقت، وما ركن عليه الصلاة والسلام إلى الذين ظلموا، ولا ضعُف، ولا استكان ولا توانى في نشر منهجه، وكذا أصحابه ﷺ .

ومن أسباب تعسُّف الكفار في اتخاذ القوانين التي تعرقل وصول الدين ونشره.

تصرُّف بعض المعتنقين لدين الإسلام العظيم، بسبب التصرُّف الشَّاذَّ أو المخالف للقيم الإسلامية والفطرية، مما شأنه أن يُتَّخذ ذريعة للنيل

---

(١) برقم (٦٧٠).

من الإسلام، بشؤم فعل بعض أتباعه.

فقد يغيرون المنكر بما يجلب المنكر، ويصرف الناس عن العلم والتعلم، وعن سلوك طريقه بسبب ما يراه من خلل في الدعاة إليه.

فجميع أفكار الخوارج من شأنها أنها ذرائع لتعسُّف الكفار في التعامل مع المسلمين، لا سيما إذا استضعفوا دولة هذا المسلم النزيل في بلادهم(١).

فالخارجي يدخل تلك البلاد بعقد أمان ثم يخون أهلها وحكامهم والمسئولين فيها، وينقض عهدهم، ويخرِّب في بلادهم، ويعتدي على حرماتهم بحجة أنهم كفار، وأنه يرفع راية الجهاد الإسلامي ويُعلي كلمة الله..!

---

(١) فمن تعسفات أولئك الظلمة أخذهم بعض أطفال المسلمين لتربيتهم داخل أسرة نصرانية أو يهودية بحجة أن المسلمين يضربون أبناءهم، وقد يخفون الأبناء عن آبائهم نهائيًا! فيا للجحود باسم الرحمة والحرية، ونعوذ بالله من انتكاسات الفطر، اللهم آمين.
وكأنَّ الأسرة النصرانية أحن وأنصح للطفل من الأبوين!
لكن لو كان والد الطفل من دولة قوية فلا يفعلون ذلك معهم ولا تجد تعسَّف!!

فحينما يُنسب هذا السَّفه والطيش والعبث إلى الإسلام، فإن من شأن هذا أن يكون له ردة فعل مِن قِبَل قادة تلك البلاد الكافرة.

فإن أولئك الكفار ليس عندهم اعتدال من الأصل، فكيف إذا استجلب أخطاءً تُسَوِّغ لهم عند كثير من الناس اتخاذ تلك التعسفات ضدَّ الإسلام وتعاليم الإسلام وأتباع الإسلام بحجة مجابهة أفكار المتطرفين والإرهاب - على حدِّ زعمهم- .

وأفكار الصوفية والروافض بخرافاتهم واعتقاداتهم المزيَّفة على الإسلام من شأنها أن تسبب تعسفًا من قبل المسئولين، وتضييقًا على المسلمين .

فإن مُلَخَّص عقائد هؤلاء الحمقى تغييب لعقول البشر.

أي دين يقبله إنسان فيه مسحة من عقل يكون فيه اللعن والسب والشتم لأصحاب نبيه، والطعن في آل بيته وتخوينهم وجبنهم، كيف يقبل ما يحكيه هؤلاء عن أصحاب نبيهم وحملة الدين الأوائل لكل الأجيال بما لا يليق؟![1]

---

(١) وراجع كتابنا «الآيَاتُ البَيِّنَاتُ عَلَى مُخَالَفَةِ مُعْتَقَدَاتِ الشِّيْعَةِ لِمُعْتَقَدَاتِ ومَسَالِكِ آلِ

والطعن في الناقل طعنٌ في المنقول.

فيجابه قادة هذه البلاد والمفكرون منهم أصحاب الفكر الصوفي والرافضي مجابهة من ليس على دين ولا عقل أصلًا، مع أن هؤلاء في الحقيقة لا يُمثِّلون الإسلام الصحيح.

فحينما ينسب ذلك الخبط والخلط والسفه وتلك الخرافات إلى الإسلام يطعن أولئك الكفار في الإسلام على أنه عبارة عن تلك الخرافات، والواقع ليس كذلك .

أضف إلى ذلك أن هؤلاء الكفار قد انطوت أنفسهم في الأصل على مفارقة الإنصاف والاعتدال في الحكم على الأشخاص، فماذا ينتظر؟!

وكذلك أفكار الحزبيين في تلك البلاد من شأنها أن تفتت عضُد المسلمين هنالك.

فكل مجموعة تنزوي إلى حزبها، وتنتمي إلى طائفة باسمها، وكل حزب يصدر عن توجيه مؤسسه، وكل طائفة أو حزب يناحر في الحزب

.....

البَيْتِ ﷺ وَصُورٌ مِن إسَاءَات الشِّيعَة لآلِ البَيْتِ».

الآخر وفي ثنايا كلامه يمجِّد الحزب الذي هو عليه، وكل أصحاب دولة ينضمُّون إلى إخوانه الذين من دولته دون غيرهم، فيواليهم ويقبل النصح والتوجيه منهم دون غيرهم، ويكون معهم على غيرهم مهما كان الأمر على طريقة عصبية الجاهلية...

وهكذا عادت العصبية الجاهلية المنتنة في صور المسلمين في تلك البلاد بسبب الجهل بتعاليم الدين.

فرجال المسلمين يتحزبون تحزب الجاهلية، ويأكلون ربا الجاهلية، ويعتقدون بعض اعتقادات الجاهلية، ونساؤهم متبرجات تبرج الجاهلية ، ويربون أبناءهم على تلك العادات الجاهلية..!

وَإِنَّ عَنَاءً أَنْ تُفَهِّمَ جَاهِلًا ... فَتَحْسَبُ جَهْلًا أَنَّهُ مِنْكَ أَفْهَمُ

مَتَّى يَبْلُغُ الْبُنْيَانُ يَوْمًا تَمَامَهُ ... إِذْ كُنْتَ تَبْنِيهِ وَآخَرُ يَهْدِمُ.

وعلاج هذا الداء العضال من قبل من يحملون هم هذا الدين:

بالتواضع، والعمل على التآلف والتواد والتحاب والرحمة والرأفة فيما بين الأخوة من أي دولة كانوا، وأي لون كان لا فرق بين غني وفقير ، ولا غنى دولته من فقرها، ولا قوتها من ضعفها، ولا عظمة رئيسها من

ذلَّته ولا بين وسيم أبيض، أو زنجي أسود[١] ولا بين لاجئ دخيل على الدولة ومَن أصوله من تلك البلاد، العزَّة بالدين، العزَّة بما أعزنا الله به كما تقدَّم، لا فرق بين أحمر وأبيض، ولا عربي على عجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح .

فقد أخرج الإمام أحمد وغيره بسندٍ صحيح إلى أَبِي نَضْرَةَ، حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ: « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ** »، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ. ثُمَّ قَالَ: « **أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟** »، قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ: « **أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟** »، قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «**أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟** »، قَالُوا بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: «**فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وأَعْرَاضَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَبَلَّغْتُ** »، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ:« **لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ** »

---

(١) مع أن الجمال قد يكون في الأسود، وقد يكون في الأبيض، هذا أمر نسبي.

وأخرج أحمد بسندٍ لا بأس به إن شاء الله عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ فَخْرَهُمْ بِرِجَالٍ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عِنْدَ اللهِ مِنْ عِدَّتِهِمْ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتَنَ**».

وهو عند أبي داود وغيره من نفس الطريق بلفظ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتَنَ**».

وفي الصحيحين عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**».

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**» وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ.

وأخرج البخاري ومسلم واللفظ له عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا**» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**».

وفي الحديث الحسن قوله ﷺ: «**الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ**».

كل هذه الأحاديث لابد أن يتعقَّل معناها من يعيش في هذه البلاد، بل ينبغي أن تجري معانيها في دمه الرجال والنساء على حدٍ سواء.

خامسًا: من أسباب تأخر وصول العلم والثقافة الدينية في بلاد أوربا وغيرها من بلاد الأعاجم ظهور مثالب فيمن يعتنقون الإسلام.

فمن مثالب المسلمين في تلك البلاد:

الانخراط فيما هو شائن في دينهم، وعدم التمسُّك بمحاسن دين الإسلام العظيم، فلا يرى على كثير من أتباعه التخلَّق بأخلاقه.

فيرى القوم أن أتباع هذا الدين يتمسَّكون بالإسلام ظاهرًا بأقوالهم وبعض أفعالهم، ويَصُدُّون الناس عنه بأفعالهم وتصرُّفاتهم فيزهد الناس فيه ويقفون حائلًا في سبيل نشره، بل في سبيل قبوله .

ومن مثالبهم: عدم استمساك أتباع هذا الدين بدينهم، والإشادة بمحاسنه حتى ممن أصولهم أصول عربية.

بل تجد في كثير منهم انهزامية نفسية، وعدم اعتزاز بالمباديء والقيم الإسلامية العظيمة التي ربما تربَّى هو عليها في بلده التي نشأ فيها بين أبوين مسلمين محافظَين.

وتجده مُنخَرِطًا ذائبًا في هذا المجتمع الكافر حتى لا تكاد تميِّز بينه وبين المنحل الكافر في طباعه وسمته، يقلده حتى في تسريحة شعره ، وفي هديه، وثيابه، وأفكاره، وما يحرص عليه..إلخ.

فركب هذا المسلم سنن الكفار كما أخبر رسول الهدى ﷺ، والله

المستعان[1].

ومن مثالبهم: عدم دعوة المسلمين الناس لفضائل ومحاسن دينهم دين الإسلام العظيم: كصلة الرحم، والإحسان إلى الجيران من أي ملَّة كان، واتقاء إيذاء الغير، واجتناب المحارم، والكف عن الدماء والإحسان إلى الأصحاب والأصدقاء، وبر الوالدين، والأمر بالاجتماع والتآلف وعدم الفرقة، والتآلف بين أطياف المجتمع المسلم، والتوادّ بينهم، والتعاطف والتعاون على الخير، والبشاشة في الوجه، وإفشاء التحية- بغير إلقاء االسلام - بين المسلم والكافر، وحفظ رعاية الغائب، والزهد في الدنيا وسفاسفها، والإصلاح بين الناس، وتأليف القلوب بالعطاء المادي والمعنوي، والصدع بالحق، والرفق بالمدعو والعزَّة بالإسلام وتعاليمه..

وغير ذلك من القِيم التي من شأنها متى كانت لا سيما بين المسلمين

---

(١) كما في الصحيحين من حديث أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ**»، قُلْنَا يَا رَسُولَ الله: اليَهُودَ، وَالنَّصَارَى قَالَ: «**فَمَنْ**».

دخل الناس في دين الله أفواجًا بسبب إظهار محاسن هذا الدين العظيم.

وكل ما تقدم من محاسن يجوز بذله من المسلم للكافر إلا البداءة بإلقاء السلام وتهنئته بأعيادة الدينية ومشاركته فيما هو في ديننا منكر

فمهم جدًا المسارعة في التعرُّف على مَحاسن هذا الدين وقيمه الرفيعة فهذا من دوافع التمسك بمبادئه وتعاليمه.

فكثير من أولئك لا يعرفون الإسلام إلا من خلاف الطوائف المنحرفة كالخوارج والروافض التي لا تمثِّل الإسلام الوسط، فيحاربون الإسلام بحجة أنه ذاك الذي لا تقبله العقول لانحرافه عن مسارات العقل، وبالله التوفيق.

ومن هؤلاء من يشغلون الناس بالسياسات والأحداث الجارية فيُفسدون خطب الجمعة باستغلالها في الكلام في نصرة فرقة على فرقة، ونظام على نظام، ودولة كذا تفعل كذا، وينبغي أن ننصر جيش كذا على دولة كذا، الرئيس الفلاني فيه وفيه، ويعمل ويعمل، وعلينا أن نعمل كذا لصالح الجيش الفلاني، ثورات ، ومظاهرات، واعتصامات، وسب وشتم ..

ويُلبسون هذا الكلام الفارغ لباس الزور!

فلا والله ما رأينا في خطب الصحابة ولا الأئمة بعدهم أحمد والمزني البخاري، والبربهاري يخطبون كذلك

أي علم يستفيده الحضور في خطب الجمعة، أي فقه في دين الله يحصلون عليه؟

فيمكث خطيب في مسجده هذا سنوات، والحضور لا يعرفون أبجديات الدين من التوحيد والعقيدة، وفقه العبادات، فيضيِّع أوقاتهم ووقته وتفنى الأعمار سدى...

بل ويأخذون أموالًا تنفق في هذا الباب.

بل والله يمكثون على هذا سنوات مع هذا الخطيب المفتون الضائع، فإذا ما جاءهم رجل من أهل السنة يعلِّمهم الدين والمنهج الحق نفروا منه وحذَّروا غيرهم ليُعرضوا عن كلامه، ولا حول ولا قوة إلا بالله !

سادسًا: - وهو أهم الأسباب وجوهرها ولُبها - عدم ارتباط المسلمين والمسلمات بمنهج دراسي شرعي يمكّنهم من التعرُّف على تعاليم الإسلام، والثقافة الدينية والعلم الشرعي، بصورة سهلة ميسورة سريعة.

ويُبدأ في هذا المنهج بالأهم ثم المهم.

فالنبي ﷺ كان يبدأ مع من أسلم بتعليمهم الفرائض، وما يجب عليهم من أمور دينهم، ولو شُغِل كان يدفع المتعلم إلى بعض أصحابه رضي الله عنهم يقوم بتعليمه ذلك.

ففي مسند الإمام أحمد[1] عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُشْغَلُ، فَإِذَا قَدِمَ رَجُلٌ مُهَاجِرٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ دَفَعَهُ إِلَى رَجُلٍ مِنَّا يُعَلِّمُهُ الْقُرْآنَ، فَدَفَعَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا، فَكَانَ مَعِي فِي الْبَيْتِ أُعَشِّيهِ عَشَاءَ أَهْلِ الْبَيْتِ، فَكُنْتُ أُقْرِئُهُ الْقُرْآنَ... الحديث.

وعدم ارتباط المسلمين في هذه الدول بمنهج دراسي للإسلام في الفقه والمعتقد، وسيرة الرسول ﷺ، وحياة الصحابة رضي الله عنهم، من شأن هذا أن يخرج جيل أو أجيال جهَّال بدين الإسلام، وحسبك بأثر الجهل على

(١) أخرجه أحمد(٢٢٧٦٦) وقد خرَّجته في كتابي«البشارة بذكر الأحكام المتعلقة بالإجارة»

الأفراد والأمم.

وكان النبي ﷺ دائم التعليم للصحابة رضي الله عنهم في كل مراحل حياتهم حتى في أوقات الغزوات، أوقات الشدائد، لأن الدوام في العلم هو رأس الخير وسبيل نشر الدين والعلم والثقافة في الآفاق عند من عقل.

لم يترك النبي ﷺ التعليم، والتوجيه والإرشاد الديني في كل وقت لا يستثني حتى تلك الأوقات العصيبة، أوقات الحروب، وهو دائم التعليم لهم، يعلمهم التوحيد، والأحكام العملية، والآداب مداومًا على ذلك لم ينفك عنه طيلة حياته ﷺ .

وإليك بيان هذا من سيرة النبي ﷺ[١]:

*** ففي يوم بدر:**

قالت عائشة رضي الله عنها إن رَسُولَ الله ﷺ أَمَرَ بِالأَجْرَاسِ أَنْ تُقْطَعَ مِنْ أَعْنَاقِ الإِبِلِ يَوْمَ بَدْرٍ.. أخرجه أبو يعلي بسندٍ ثابت.

*** وفي أيام الحديبية[٢]:**

---

(١) من كتابنا« صحيح السيرة النبوية » ص ٧٨٢

(٢)وقت شغل النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم وحصول الإشكالية التي كانت بسبب الصلح.

أخرج البخاري[١] وغيره عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ:

صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلاَةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ**»؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا**[٢]**، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ**».

❁ وفي أيام الحج :

كان ﷺ يعلمهم المسائل الفقهية – والحالة هذه – .

في الصحيح[٣] عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَآهُ وَقَمْلُهُ يَسْقُطُ عَلَى وَجْهِهِ، فَقَالَ: «**أَيُؤْذِيكَ هَوَامُّكَ؟**» قَالَ: نَعَمْ، فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَحْلِقَ، وَهُوَ بِالحُدَيْبِيَةِ، لَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ أَنَّهُمْ يَحِلُّونَ بِهَا،

---

(١) برقم (٤١٤٧) ومسلم (٧١).

(٢) والنوء : هو منزل القمر ، كانوا : يقولون :مطرنا بنوء كذا ، وسقينا بنوء كذا .

(٣) برقم (٤١٥٩)

وَهُمْ عَلَى طَمَعٍ أَنْ يَدْخُلُوا مَكَّةَ، فَأَنْزَلَ اللهُ الفِدْيَةَ، فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنْ يُطْعِمَ فَرَقًا[1] بَيْنَ سِتَّةِ مَسَاكِينَ، أَوْ يُهْدِيَ شَاةً، أَوْ يَصُومَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ».

ونزلت الآية ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ ﴿١٩٦﴾ ﴾ البقرة: ١٩٦.

بل في أثناء الإغارة على خيبر ينادي منادي رسول الله ﷺ:

« فَلَجَئُوا إِلَى الحِصْنِ، فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَيْهِ وَقَالَ: «**اللهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ، فَسَاءَ صَبَاحُ المُنْذَرِينَ**»، وَأَصَبْنَا حُمُرًا، فَطَبَخْنَاهَا، فَنَادَى مُنَادِي النَّبِيِّ ﷺ: إِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ يَنْهَيَانِكُمْ عَنْ لُحُومِ الحُمُرِ، فَأُكْفِئَتْ القُدُورُ بِمَا فِيهَا.[2]

---

(١) أي دلوًا أو مقطفًا.

(٢) أخرجه البخاري(٢٩٩١).

في هذه الأجواء يعلِّمهم المنهيات والمأمورات؟!

❁ وفي غزوة خيبر أيضًا:

لما توجَّه رسول الله ﷺ أشرف الناس على وادٍ فرفعوا أصواتهم بالتكبير، الله أكبر، الله أكبر ، لا إله إلا الله فعلَّمهم أدبًا وذكرًا :

قال أبو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ رضي الله عنه ، قَالَ: لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْبَرَ، أَوْ قَالَ: لَمَّا تَوَجَّهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، أَشْرَفَ النَّاسُ عَلَى وَادٍ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا ، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ**»(١)، وَأَنَا خَلْفَ دَابَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَمِعَنِي وَأَنَا أَقُولُ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَقَالَ لِي: «**يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ**». قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ**» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، قَالَ: «**لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا**

(١) حَاصِل الْمَعْنى فِيهِ أَنه ﷺ كره رفع الصَّوْت بِالذكر وَالدُّعَاء، أي أن الله قريب لا يحتاج رفع صوت لإسماعه سبحانه، وإنما الذي يحتاج رفع الصوت هو الأصم ، أو البعيد، والله قريب أقرب إلى الناس من حبل الوريد .

بِاللهِ »[١].

فمع تلك الأحوال العصيبة في الحروب ورسول الله ﷺ يعلِّمهم الأحكام العملية، ويعلِّمهم العقيدة ، وكيف تكون الأذكار ، فلم ينفك عن هذا في وقت دون وقت .

❁ وأيضًا في غزوة خيبر يعلمهم شيئًا من المعتقد :

أَمَرَ بِلاَلًا فَنَادَى بِالنَّاسِ: «**إِنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَإِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ**»[٢].

يعلِّمهم ﷺ عدم الاغترار بحسن العمل ونصرة الدين.

في ظل هذه الأجواء!

❁ وفي صحيح البخاري[٣] في يوم خيبر قال ابن عمر رضي الله عنه :

أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ «نَهَى يَوْمَ خَيْبَرَ عَنْ أَكْلِ الثُّومِ، وَعَنْ لُحُومِ الحُمُرِ

---

(١) أخرجه البخاري(٤٢٠٥) ومسلم (٢٧٠٤)

(٢) أخرجه البخاري(٣٠٦٢).

(٣) برقم (٤٢١٥).

الأَهْلِيَّةِ» .

وفي حديث على بن أبي طالب ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «نَهَى عَنْ مُتْعَةِ النِّسَاءِ يَوْمَ خَيْبَرَ، وَعَنْ أَكْلِ لُحُومِ الحُمُرِ الإِنْسِيَّةِ».[١]

مع ما أصابهم يومها من المجاعة ،ورخَّص لهم في الخيل .[٢]

❁ **علمهم ﷺ يوم خيبر أحكاماً عملية تتعلَّق بالبيوع .**

عن فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ الْأَنْصَارِيَّ، يَقُولُ: أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِخَيْبَرَ بِقِلَادَةٍ فِيهَا خَرَزٌ وَذَهَبٌ، وَهِيَ مِنَ الْمَغَانِمِ تُبَاعُ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالذَّهَبِ الَّذِي فِي الْقِلَادَةِ فَنُزِعَ وَحْدَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ وَزْنًا بِوَزْنٍ**»[٣].

❁ وفي صحيح البخاري[٤] يوم خيبر نهاهم عن أكل الثوم.

❁ وفي صحيح مسلم[١] عن على بن أبي طالب ﷺ قال:

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢١٦).

(٢) راجع صحيح البخاري (٤٢١٩/ ٤٤٢٠).

(٣) أخرجه مسلم (١٥٩١).

(٤) برقم (٤٢١٥).

نهي رسول الله ﷺ عن متعة النساء يوم خيبر. كذا أثناء الحرب .

❁ وعند عبد الرزاق وابن ماجة وغيرهما[٢] بسند حسن عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ الْحَكَمِ ، قَالَ: أَصَبْنَا يَوْمَ خَيْبَرَ غَنَمًا فَانْتَهَبَهَا النَّاسُ فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَقُدُورُهُمْ تَغْلِي ، فَقَالَ:

مَا هَذَا؟ فَقَالُوا: نُهْبَةٌ يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ: «**أَكْفِئُوهَا فَإِنَّ النُّهْبَةَ لَا تَحِلُّ ، فَكَفَئُوا مَا بَقِيَ فِيهَا**».

❁ وفي غزوة أخرى :

يعلمهم المنع من الجزم لمعين بشهادة أو بخير بغير وحي:

يُعلِّق على رجل كان لاَ يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً وَلاَ فَاذَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ، فَقِيلَ: مَا أَجْزَأَ مِنَّا اليَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلاَنٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ، قَالَ: فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ، قَالَ: فَجُرِحَ الرَّجُلُ

.....

(١) برقم (١٤٠٧).

(٢) «المصنف»عبد الرزاق (١٨٨٤١) و«السنن»لابن ماجة (٣٩٣٨) و«الأحاد والمثاني»(٩٣٥) لابن أبي عاصم.

جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَوَضَعَ سَيْفَهُ بِالأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «**وَمَا ذَاكَ؟**» قَالَ: الرَّجُلُ الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفًا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ بِهِ، فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ، ثُمَّ جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ فِي الأَرْضِ، وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**».[١]

يعلمهم عدم الاغترار بصلاح العمل، وأن لا يأمن العبد من مكر الله، وسوء الخاتمة ، وأن الأعمال بالخواتيم.

*** وفي بعض أسفاره :**

قال أبو بَشِيرٍ الأَنْصَارِيُّ رضي الله عنه ، أَخْبَرَهُ أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَالنَّاسُ فِي مَبِيتِهِمْ، أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَسُولًا أَنْ:

(١)أخرجه البخاري (٤٢٠٢)

«لاَ يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلاَدَةٌ مِنْ وَتَرٍ، أَوْ قِلاَدَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ».

أخرجه البخاري ومسلم .

❁ فما كانوا يتركون التعلم في وقت أبداً، لا الأحكام العملية ولا الاعتقادية ...

والحاصل هنا:

أن عدم الاهتمام بإعداد المنهج التعليمي المناسب للأفراد، والتثقيف الإسلامي الذي يتم نشره بين الناس، عدم ترتيب ذلك وتنظيمه ورعايته مما يضيِّع العمر ويبدِّد الجُهد سُدى دون إعداد الكوادر التي تقوم بنشر الوعي الديني من الثقافة، ونشر الخير في تلك البلاد المتأخرة في الوعي الديني والثقافة الإسلامية، وبالله التوفيق.

وهذا لا يمكن أن يتم بغير شيخ، بغير موجِّه للشباب[1].

(١) والمسلمون في تلك البلاد قد يتخذون موجهًا منهم، هو مثلهم، وربما قدَّموه لا لعلم، بل لتميزه في شيء معين ربما كثرة شقشقة الكلام أو لحسن أخلاقه، أو لكونه جمع بين اللغة العربية ولغة تلك الدولة التي هو مقيم فيها بينهم .. إلخ.
فيشيخوه ويقدمونه موجِّهًا لهم وهو لم يتأهل لذلك.

ولا بد أن يكون هذا الموجِّه على السُّنة لا يقبل توجيه أي أحد:

فإن هذا العلم دين ، فلينظر كل أخ-لا سيما في تلك البلاد- ممن يأخذ دينه، وعلى أي منهج يسير، وإلا فقد ضاعت أعمار وأموال وجهد بسبب الموجهين من غير تأهيل، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، وبالله التوفيق.

وبلاد أوربا والأعاجم نظرًا لقلة العلم والثقافة الإسلامية فيها ، ففيها تصدُّر أنصاف المتعلمين، يتقمَّصون شخصيات العلماء بل الأئمة الكبار والموجهين، ومن هنا تأتي المصائب وتنشأ الفتن، ولله الأمر من قبل ومن بعد، وهو المستعان .

والمقصود : أن في تأخر العلم الشرعي والثقافة الإسلامية في تلك البلاد يحرمون خيرًا كثيرًا، ويُجلب عليهم شرٌ مستطير بسبب غياب

.....

وهذا غلط كبير، فقد يتميَّز بعلم كالقدرية، وقد يتميز بعبادة كالخوارج، وقد يتميز بكلام ودعاوي كالروافض والحزبيين الحركيين، وكل هؤلاء أهل بدع.

لا بد أن يتميَّز الموجِّه بالعلم الشرعي مع صحة المنهج حقيقة لا كلامًا، وإلا فلا ثمرة ترجى، وإنما هو ضياع عمر وجهد ومال بلا نتائج، والله المستعان

العلماء الموجِّهين المصلحين الناصحين.

وقد يتعمَّد مشايخ أهل السنة الامتناع من الإتيان إلى تلك البلاد بسبب كثرة الفتن والمعاصي وتعري النساء والإباحية البهيمية المنتشرة... من جهة، ومن جهة أخرى سوء أدبٍ وتسفُّه يصدر أحيانًا من غير المؤهَّلين من أنصاف المتعلمين، والمتصدِّرين للدعوة إلى الله- زعموا- بغير تأهيل.

فبسبب تأخر العلم صار كل من يقرأ رسالة أو يتعرَّف على بعض المشايخ، أو يشيَّخه بعض الصغار صار في نظر نفسه وفي أعين من حوله منهم عالمًا، فتكبر نفسه لما يرى من التفاف الناس عليه، وتكبيرهم له، واعتباره موجِّهًا، فيفسد بالطعن في هذا الشيخ والتحذير منه، وتقديم هذا، وتأخير هذا.. والشباب خلفه يسيرون!

فوالله قد يأتيهم الشيخ ويتكلَّمون في حقِّه بعد انصرافه من تعليمهم، وبغير وجه حق، فينقبض أن يأتيهم مرة أخرى.

فلا يبق يواظب على الإتيان إليهم إلا بعض الجاليات الأزهرية من أصحاب الطرق الصوفية، والأحمدية«أتباع ميرزة» والأحباش،

والقرآنيون، وجماعة التبليغ، والأشاعرة، والمرتزقة، وأصحاب المناهج المشوبة بل المشبوهة المنحرفة، كالحزبيين والتبليغيين الذين هم بمعزل عن منهج أهل السنة والجماعة، لا سيما القُصَّاص منهم، يحركون قلوبهم فيجمعون منهم الأموال يتقوون بها للدعوة إلى منهجهم المخالف، في كل مكان من العالم، والله المستعان.

فأي نفع يُنتظر؟!

معوقات اتخاذ أسباب نشر العلم والثقافة الدينية في بلاد الأعاجم أوربا وغيرها

من ذلك: الانهماك في الدنيا، وصرف الجهد والعمل لها، وكأن المسلم لم يخلق إلا لهذا، فتصبح حياته مادية وعبارة عن:

عمل- جمع مال- صرف هذا المال في المتع وملاذ الدنيا من زواج وبيت ولباس ، وفُرش، فإذا جمع هذا إلى الواقع الذي هو حياة إباحية منفتحة تستهلك وتستغرق هذا المال وعشرة أضعافه مهما كان.

وبالطبع يخالط هذا طول الأمل، والتسويف- مع اعتراف جُلّ من هو مسلم في هذا البلاد بالتقصير في حق نفسه، وفي حق دينه، وفي حق

أمته!

لكنه لا يتَّخذ سبيلًا للخلاص بسبب غفلته عن الوقاية والدواء الذي ذكرة ﷺ.

فقد قال النبي ﷺ قال: «**إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي المَالِ وَالخَلْقِ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ** » (١).

وقال ﷺ : « انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ»(٢).

وسيرة عُلماء السلف وطلَّاب العلم واضحة لهم في هذا الباب .

كم تحمَّلوا من شدائدَ أثناء طلبِهم له، رضوا –والله– بالكِسرَة من الطعام، حتى لا ينهمكوا في مطالب الدنيا، فينشغلوا بها فتأخذ أوقاتهم فيُضيِّعوا طلب العلم والعمل للدين .

والصحابة رضي الله عنهم أسياد الناس في هذا ، قراءة سيرتهم تبني هذا الفكر

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩٠) .

(٢) وهو من حديث صحيح. أخرجه مسلم (٢٩٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

في وجدان من يقيمون في بلاد أوربا في تلك الأماكن، بلاد الأعاجم.

فقد تقدم حديث الإيلاء الطويل وفيه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين دخل ورأى أثاث منزل النبي ﷺ قال:«.. فجَلَسْتُ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فِي الْبَيْتِ، فَوَالله، مَا رَأَيْتُ فِيهِ شَيْئًا يَرُدُّ الْبَصَرَ، إِلَّا أَهَبًا ثَلَاثَةً، فَقُلْتُ: ادْعُ اللهَ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ يُوَسِّعَ عَلَى أُمَّتِكَ، فَقَدْ وَسَّعَ عَلَى فَارِسَ وَالرُّومِ، وَهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللهَ، فَاسْتَوَى جَالِسًا، ثُمَّ قَالَ: «**أَفِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**»، **فَقُلْتُ: اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ الله**.. الحديث أخرجه البخاري ومسلم.

فلا تنظر يا من تعيش في بلاد الأعاجم إلى مَن حولَك من المادِّيين إن كنت تريد أن تعمل لنشر الدين والثقافة الإسلامية في تلك البلاد.

وتقدم قوله ﷺ للصحابة رضي الله عنهم :« **أَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَالله لاَ الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ** ».

وهذا هو حال كثير من المسلمين الذين يقطنون تلك البلاد:

التنافس في الدنيا، والتكاثر فيها، وبعضهم– والله– انهمك فيها انهماكًا كحال الذي يرقِّع دنياه بتمزيق دينه، فلا الدين يبقى ولا الدنيا تُرَقع بهذا الدين العظيم[١].

فطالب العلم والعامل لنشر دينه ما لَه ومطالب الدنيا وزخارفها، فليتقلَّل الموفَّق من ذلك ليتفرَّغ للطلب والعمل لنشر دينه وثقافة إسلامه؟

فليجمع قلبه على ذلك، ويجعل نشر دينه العظيم هدفه الأسمى ويجعله نُصبَ عينيه، وبالله التوفيق.

ومن تلك المعوقات عن اتخاذ أسباب نشر الوعي الديني والثقافة الإسلامية في أوربا وبلاد الأعاجم:

عدم مبالاة كثير من المسلمين في تلك البلاد بما فُقِدَ من دينهم فرَّط وضيَّع أم حافظ.

وهذا العائق يجعل صاحبه سلبيًا لا إيجابيًا، فلا يتحرَّك نحو دينه

(١) وحريٌّ بالأخوة الاطلاع على معيشة أصحاب النبي ﷺ بتمعُّن كيف كانت؟

للعمل له، بل لا يهمه: انتشر دينه أم انطمست معالمه، شُتم نبيُه ﷺ ونِيل منه أم كُرِّم، دنِّس قرآنه الذي يعتزُّ به أم لا، رفعت مكانة الدين والقرآن ومنزلته أم لا...

ولا ترى من هذا إلا زهدًا في العلم .

وهو هكذا كالميت، ومثل هذا ما ينفع معه الكلام .

فما لجُرح بميتٍ إيلام .

ومن تلك: عدم الثبات في طلب العلم والتعلم وحضور مجالس العلماء :

فما إن يستيقظ المسلم في تلك البلاد للمطلوب منه، ويبدأ بالاستقامة على الطريق إلا وينقطع، لا يثبت، لأسباب قد تكون ضعف الشخصية، أو الضغوط المستجدة، أو خساسة الهمة، أو دناءتها، أو شدائد ولم يجد معه مَن يُعينه فيُثبِّته، أو يعاونه فيما ألمَّ به مِن مصائب ونكبات، فينكسر، ويَضعُف سعيه.

وقد ينتكس فيُفضِّل اللَّعب والفُسَح على حضور مجالس العلم...

والمطلوب: هوالثبات والاستمرار بِهمَّة ونشاط، وقد يعين عليها الزميل المخلص المذكر بالخير، ويحفِّز عليها التأمُّل في الآيات والأحاديث

المتعلِّقة بالاستقامة وثبات أهل العلم المخلصين الثابتين في مواقفهم وحياتهم المختلفة، وذلك بالاطلاع على سيرهم.

قالَ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه : « خَطَّ لَنَا رسولُ الله ﷺ خطًّا فقالَ: « **هَذا سَبِيلُ الله** » ، ثمَّ خَطَّ خُطُوطاً عَنْ يمينِهِ وعَنْ شمالِهِ ، ثُمَّ قالَ : « **وهذِهِ سُبُلٌ على كلِّ سبيلٍ منهَا شيطانٌ يدعُو إليهِ**»، ثمَّ قرأَ الآيةَ ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ الأنعام [(١)].

والصحابة رضي الله عنهم أكثر الناس ثباتًا على الحق والخير ، والاطلاع على ذلك يُحَفِّز على الثبات، وبالله التوفيق والرشاد.

ومن تلك المعوقات عن اتخاذ أسباب نشر العلم والثقافة الإسلامية في أوربا وبلاد الأعاجم :

الزهد في تعلم اللغة العربية.

فإن هذا سيؤدي إلى الفقر في لغة القرآن والسنة الذَين هما أساس العلم الشرعي

---

(١) إسناده حسن أخرجه النسائي فى « الكبرى »(١١١٠٩) ، وابن حبان (٦ ، ٧) .

فتعلُّم اللُّغة العربية هو من أُسس تسهيل تحصيل الثقافة الإسلامية، وتعلُّم الدين، ولا نشر للعلم ولا للثقافة الإسلامية إلا بتعلمها أولًا .

وإلا فكيف يتقدم العلم الشرعي، وتنتشر الثقافة الإسلامية بغير تحصيل أعظم سُبل نشرها؟!

فاللسان العربي شعارُ الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون.(١)

قال ابن الصلاح:«حقٌّ عَلَى طالبِ الحديثِ أنْ يَتعلَّمَ منَ النحوِ واللُّغةِ ما يتخلَّصُ بهِ منْ شَيْنِ اللَّحْنِ والتحريفِ ومَعَرَّتِهما ». (٢)

وقال النووي:«عَلَى طَالِبِ الْحَدِيثِ أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنَ النَّحْوِ وَاللُّغَةِ مَا يَسْلَمُ بِهِ مِنَ اللَّحْنِ وَالتَّصْحِيفِ ». (٣)

ونُقل عن شعبة قال :« تعلَّموا العربيَّة فإنها تزيدُ فى العقلِ» .

فعلى المسلم في بلاد الأعاجم أن يأخذ من اللغة العربية ما يستقيم به

---

(١) انظر « اقتضاء الصراط المستقيم » (١/ ٢٠٢) .

(٢) « معرفة أنواع علوم الحديث » ص ٣٢٦.

(٣) « التقريب والتيسير » للنووي ص ٧٥.

لسانُه، تلك اللغة العظيمة التي نزل بها القُرآن .

فاللغة العربية تعين على فهم القرآن والسنة وهي ضرورية للأعاجم .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ الزخرف. .

وقال : ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (الزمر: ٢٨) .

وقال : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (يوسف: ٢) .

فالأعجمي يعجز عن فهم بلاغة القرآن وإعجازه فضلاً عن تعليمه لغيره ، ونشر فقهه وبيانه.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ النحل.

فاللسان الأعجميُّ لا يَقدِر أن يعلِّم غيرَه القرآن الذي هو باللسان العربي.

وقال شيخ الإسلام :

« إن نفسَ اللُّغة العَربيَّة من الدين، ومعرفتها فرضٌ واجبٌ، فإنَّ فهمَ الكتابِ والسنَّة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغةِ العربية، وما لا يتم الواجبُ إلا به فهو واجبٌ، ثم منها ما هو واجبٌ على الأعيان، ومنها ما

هو واجب على الكفاية»[١].

وأخرج ابن عبد البر[٢] بسندٍ صحيح عن أبي عثمان قال : كان فى كتاب عمر ﷺ : « تعلَّموا العربيَّة » .

وأخرج ابن عبد البر عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، أَنَّهُ كَانَ يَضْرِبُ وَلَدَهُ عَلَى اللَّحْنِ». [٣]

وأُثر عن ابن المبارك وغيره أنهم قالوا:« اللَّحْنُ فِي الْكَلَامِ أَقْبَحُ مِنْ آثَارِ الْجُدَرِيِّ فِي الْوَجْهِ ».

ومن نظر فى النحو رقَّ طبعه.

وقال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾ إبراهيم.

---

(١) « اقتضاء الصراط المستقيم » (١/ ٢٠٧) .

(٢) « جامع بيان العلم وفضله » (٢٢٢٧) .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٤١٥) ، والبخاري فى « الأدب المفرد » (٨٨٠) ، والخطيب فى« الجامع » (١٠٩١) ، واللفظ له .

وقال: «ويُستدل بهذه الآية الكريمة على أن علوم العربية الموصلة إلى تبيين كلامه وكلام رسوله أمورٌ مطلوبةٌ محبوبةٌ لله لأنه لا يتم معرفة ما أنزل على رسوله إلا بها إلا إذا كان الناس بحالة لا يحتاجون إليها، وذلك إذا تمرَّنوا على العربية، ونشأ عليها صغيرُهم وصارتْ طبيعةً لهم فحينئذ قد اكتفوا المؤنة، وصَلُحوا أن يتلقَّوا عن الله وعن رسوله ابتداءً كما تلقى عنهم الصحابة رضي الله عنهم[١].

من آثار عدم تعلم العربية في بلاد أوربا والأعاجم

تقدم أن اللغة العربية هي وسيلة معرفة الدين والثقافة الإسلامية، فإذا فقدها من أسلم صار جاهلًا بدينه[٢]، والنتيجة أنه يكون أسيرًا لمن يستطيع أن يُفَهِّمه بِلُغته.

وإذا به يشرب منهجه ممن يعلمه المنهج الذي هو عليه.

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٤٧٨).

(٢) ولذلك من النادر جدًا أن تجد عالمًا من بلاد الأعاجم، وإن وجدت تجده رحل إلى بلاد العرب وتفقَّه في اللغة العربية وعاش في بلاد العرب تحت أقدام العلماء العرب، ينهل من علمهم وإلا فهيهات، وليس كل منهم تتيسَّر أموره أن يهاجر لبلاد العرب، وإن حاول؟

فإذا كان من يُفَهِّمه خارجيًا اعتق هذا المسكين بدعته، وكذا إذا كان أشعريًا أو صوفيًا قبوريًا[١] .

وهذا هو السِّرّ في أنك تجد أكثر الإسلاميين في بلاد أوربا والأعاجم مشيجٌ من: خوارج، أو أشعرية، أو صوفية خُرافيين.

خوارج: بسبب هجرة كثير من الإخوان المسلمين إليهم.

أو أشاعرة: بسبب هجرة الأزاهرة إليها ، يسافرون إليها إعارة للدعوة.

أو صوفية خرافيين بسبب التصا ك الأتراك ومن تخرَّج من الأزهر بهم ، وبعض الأزاهرة والتبليغيين جمعوا بين بدعة التصوف والأشعرية.

وإن كان ضعفاء الثقافة من الأعاجم هؤلاء لهم نوايا حسنة إلا أنهم يكونون على حسب مَن يسوقهم الله إليهم لدعوتهم وتعليمهم، ولا يكفي حسن النيَّة والإخلاص بغير اتباع وهو صلاح العمل.

والعجب أن بعض الخطباء بل أكثرهم، يوظِّف خطب المساجد في

---

(١) لذلك تجد جُل الأتراك صوفية خرافيين، واعتنقوا المذهب الخارجي مؤخَّرًا بسبب إيوائها فصائل معارضة الإخوان المسلمين هناك.

هذه البلاد لينشر بها وباءه الذي يعتقده، ومنهجه الجارجي أو الصوفي...

فالخارجي: يجعل خطبة الجمعة وكالة أنباء، أو نشرة أخبار يُجيِّد - بما ينقله من أخبار- أفكار المستمعين إلى ناحية سياسة معيَّنة فيها تأليب على الحكام، والتنديد بما هم عليه من باطل وظلم، أو ما يحسبه كذلك ومن تخوينهم، وبيان ما ينبغي أن يكون عليه جيوش المسلمين، ...إلخ.

ولا بأس بذكر نخبة من أخبار عن تاريخ لعلماء ربما مكذوب عليهم ليُشوِّه ما عليه بعض المشايخ ممن هم على خلاف نهج الخوارج.

وبالطبع يمجّد في ثنايا خطبته من هو على منهجهم، ويروِّج لهم.

والصوفي: يجعل الخطبة كلها خرافات وكذب على النبي ﷺ والصحابة لترويج شائعات، ولا بأس بالغمز في مثل شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهَّاب الذي أعانه الله فكسَّر أفكارهم، وطعن في معتقداتهم الفاسدة كما كسَّر النبي ﷺ أصنام مشركي مكة.

وكذا الأشعري والتبليغي والإخواني القطبي، والسروري، ثم يجمع منهم النقود لينفق على ما يعتقد، وإلى الله المشتكى.

المهم تصبح الخطبة فارغة ليس فيها من الفقه الصحيح، أو حسن المعتقد القويم ما يذكرولذلك يمكث الناس مع هذا الخطيب الخائب

سنوات لم يستفيدوا سوى أن قيل وقال.

والكذب على الله تعالى وعلى رسولﷺ والصحابة ﭫ والعلماء رحمهم الله سجيَّة هؤلاء الخطباء.

كما أن التلبيس وتغييب الحقائق ومِن ثَمَّ قلة الوعي الديني، والثقافة الإسلاميَّة، هذه نتيجة حتمية لهذا.

والمسكين الأعجمي نظرًا لعدم معرفته باللغة العربية لا يستطيع التحوُّل والبحث عن الحق حتى ولو علم بوجود خلاف في المناهج والمسالك بين موجِّهه وغيره، وإلى الله المشتكى.

فصل مهم في أحوال معيشة الصحابة رضي الله عنهم

إذا نظرنا إلى أكثر الملهيات لمن يعيشون في بلاد الأعاجم، رأيته في الاغترار بالدنيا وزخارفها من بيوت وأثاث وزينة، ومعايش ألهت كثيرًا ممن يقطنون تلك البلاد عن دينهم، وما صاروا يبالون لفقده، ولا لنقصه، ولا لنشره، فضلًا عن حياء كثير منهم عن التمسك بدينهم والاعتزاز بتعاليمه وثقافته.

وقد دوَّنت لمعالجة التهاء الناس بالدنيا بيان:

١- أشكال بيوت زوجات النبي ﷺ.

٢- أشكال مساكن الصحابة رضي الله عنهم.

٣- معيشة النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم كيف كانت[١].

أولًا أشكال بيوت زوجات النبي ﷺ:

(١) وقد ذكرت ذلك مختصرًا موجزًا بغير سردٍ لتخريج أدلة ذلك لئلا يطول الكلام، والمهم العلم بأن كل ما نورده قد خرَّجناه بالأسانيد الثابتة في كتابنا «تدبير الأبنية والعمران».

بُنِيَ لِرَسُولِ الله ﷺ حَوْلَ مَسْجِدِهِ الشَّرِيفِ حُجَرٌ لِتَكُونَ مَسَاكِنَ لَهُ وَلِأَهْلِهِ، وَكَانَتْ مَسَاكِنَ قَصِيرَةَ الْبِنَاءِ، قَرِيبَةَ الْفِنَاءِ .

وقَالَ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ- وَكَانَ غُلَامًا مَعَ أُمِّهِ خَيْرَة مَوْلَاة أُمِّ سَلَمَةَ- لَقَدْ كُنْتُ أَنَالُ أَطْوَلَ سَقْفٍ فِي حُجَرِ النَّبِيِّ ﷺ بِيَدِي.

وكانت مساكنه ﷺ مبنية من جريد النخل، وعليه طين، وبعضها من حجارة، وسقوفها كلها من جريد، كسقف مسجده ﷺ .

وبابه ﷺ كان يُقرع بالأظافير، وقد أُضيفت الحُجَر كلها بعد موت أزواجه رضي الله عنهن إلى المسجد .

وشكل باب بيت رسول الله ﷺ: فيه ثقوب وشقوق ، وبيته من الداخل قليل الأثاث كما تقدَّم في حديث الإيلاء الطويل ففيه:

قال عمر رضي الله عنه: «... فدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى رِمَالِ حَصِيرٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ، قَدْ أَثَّرَ الرِّمَالُ بِجَنْبِهِ مُتَّكِئٌ عَلَى وِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ..».

وتقدم أن غرفته ﷺ لم يكن فيها ما يردُّ البَصر.

وكانت البيوت ضيِّقة .

فقدأخرجه مسلم عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ وَأَنَا مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ، كَاعْتِرَاضِ الْجَنَازَةِ».

فدلَّ ذلك على ضيقها.

وأخرج أحمد وابن حبان وغيرهما بإسنادٍ ثابت صحيح عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ دَخَلَ عَلَيْهِ عُمَرُ، وَهُوَ عَلَى حَصِيرٍ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ الله، لَوِ اتَّخَذْتَ فِرَاشًا أَوْثَرَ مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ: « **مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ مَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا، إِلا كَرَاكِبٍ سَارَ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ، فَاسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا**».

وقد قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه: لَقَدْ ارْتَقَيْتُ يَوْمًا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ لَنَا، فَرَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ «عَلَى لَبِنَتَيْنِ، مُسْتَقْبِلًا بَيْتَ الْمَقْدِسِ لِحَاجَتِهِ..

الحديث.

وفى « صحيح مسلم» من قول جابر لما اتخذت امرأته نمطًا [1] قال لها : « نحيه عني».

---

(١) وهو ضرب من البُسط له قماش رقيق .

وعن ارتفاع بيت النبي ﷺ:

فأخرج البخاري وغيره عَنْ عَائِشَةَ: «أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ صَلَّى العَصْرَ، وَالشَّمْسُ فِي حُجْرَتِهَا لَمْ يَظْهَرِ الفَيْءُ مِنْ حُجْرَتِهَا».

فلم يظهر الفيئ من حجرتها لقصر جدرانها، وقربها من الأرض.

وكان رسول الله ﷺ يصلي من الليل فى حجرته وجدار الحجرة قصير، فرأى الناسُ شخص النبي ﷺ ، فقام أناس يصلون بصلاته.

وهذا يعني أن حجرات بيوت النبي ﷺ كان سقفها منخفضًا.

وأخرج البخاري فى « الأدب المفرد »بإسنادٍ صحيح قال دَاوُدُ بْنُ قَيْسٍ: رَأيتُ الحُجراتِ[1] مِن جَريدِ النَّخلِ مُغشَّاة مِن خَارجٍ بمسُوح الشَّعرِ وَأظُنُّ عَرْضَ البَيتِ مِن بَاب الحُجرةِ إِلَى بَاب البيتِ نَحْوًا مِن سِتِ أَو سبعِ أَذرعٍ، وأحْزِرُ البيتِ الدَّاخِلَ عَشرَ أَذرعٍ، وأَظنُ سُمكَهُ بَين الثَّمانِ والسَّبْعِ نَحو ذَلك.

ثانيًا: أشكال أبنية مساكن الصحابة رضي الله عنهم:

(١) يعني حجرات النبي ﷺ .

تقدم ذكر شكل بناء حجرات النبي ﷺ، وبالطبع بيوت أصحابه رضي الله عنهم ستكون على هذا النحو.

وهذا من وصف حال منزل عبد الله بن عمرو رضي الله عنه:

فقد أخرج أبو داود بإسنادٍ صحيح عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: مَرَّ بِي رَسُولُ الله ﷺ وَأَنَا أُطَيِّنُ حَائِطًا لِي أَنَا وَأُمِّي، فَقَالَ: «**مَا هَذَا يَا عَبْدَ الله؟**» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله شَيْءٌ أُصْلِحُهُ، فَقَالَ: «**الْأَمْرُ أَسْرَعُ مِنْ ذَلِكَ**».

وهذا شكل وسادته التي يجلس عليها رضي الله عنه:

فقد حَدَّث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ ذُكِرَ لَهُ صَوْمه، قال: فَدَخَلَ عَلَيَّ، فَأَلْقَيْتُ لَهُ وِسَادَةً مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ، فَجَلَسَ عَلَى الأَرْضِ، وَصَارَتِ الوِسَادَةُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ.

دخل سعيد بن جبير على عبد الله بن عمر رضي الله عنه يسأله عن المتلاعنَين قال: فَدَخَلْتُ فَإِذَا هُوَ مُفْتَرِشٌ بَرْذَعَةً مُتَوَسِّدٌ وِسَادَةً حَشْوُهَا لِيفٌ.

وهذا قوام ما في بيته رضي الله عنه:

قال مَيْمُونٍ بن مهران: دَخَلْتُ عَلَى ابْنِ عُمَرَ، فَقَوَّمْتُ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَيْتِهِ مِنْ فِرَاشٍ أَوْ لِحَافٍ أَوْ بِسَاطٍ، فَمَا وَجَدْتُهُ يُسَوِّي مِائَةَ دِرْهَمٍ قَالَ: وَدَخَلْتُ

عَلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى، فَمَا وَجَدْتُهُ يَسْوَى ثَمَنَ طَيْلَسَانِي هَذَا » .

قَالَ أَبُو الْمَلِيحِ:

فَبِيعَ طَيْلَسَانُ مَيْمُونٍ فِي مِيرَاثِهِ بِمِائَةِ دِرْهَمٍ.

وهذا شكل منزل أويس القرني خير التابعين رحمه الله:

فقد سأل عمر بن الخطاب رَجُلًا مِنْ أَشْرَافِ قبيلة أُوَيْسٍ القرني التابعي الزاهد الذي نعته ﷺ بخير التابعين فقال الرجل: «تَرَكْتُهُ رَثَّ الْبَيْتِ، قَلِيلَ الْمَتَاعِ ».

وهذا حال بيت أبي بن كعب سيد المسلمين في زمانه لما كبُر رضي الله عنه:

فقد تبع رجلٌ أبي بن كعب حَتَّى أَتَى مَنْزِلَهُ، قال في وصفه المنزل: فَإِذَا هُوَ رَثُّ الْمَنْزِلِ، رَثُّ الْهَيْئَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ زَاهِدٌ مُنْقَطِعٌ يُشْبِهُ أَمْرُهُ بَعْضُهُ بَعْضًا.

وهذا أثاث أسرة أنس بن مالك رضي الله عنه:

فقد دعت جَدَّة أنس مليكةُ النبيَّ ﷺ ليصلِّ لهم في مكان يُتخذ مسجدًا في بيتها قال أنس:فقمت إلى حصير لنا قد اسودَّ من طول ما لُبث، فنضحته بماء، فقام رسول الله ﷺ وصففت أنا واليتيم وراءه ، والعجوز من ورائنا.

وهذا بيت أبي لبابة بن المنذر رضي الله عنه:

قال عُبَيْد الله بن أَبِي يَزِيدَ: مَرَّ بِنَا أَبُو لُبَابَةَ رضي الله عنه فَاتَّبَعْنَاهُ حَتَّى دَخَلَ بَيْتَهُ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، فَإِذَا رَجُلٌ رَثُّ الْبَيْتِ، رَثُّ الْهَيْئَةِ.

ولقد كان الصحابة يغبطون من سبقهم بالتقلل والزهد في الدنيا:

ففي « صحيح البخاري » من حديث قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى خَبَّابٍ، نَعُودُهُ، وَقَدْ اكْتَوَى سَبْعَ كَيَّاتٍ، فَقَالَ: «إِنَّ أَصْحَابَنَا الَّذِينَ سَلَفُوا مَضَوْا وَلَمْ تَنْقُصْهُمُ الدُّنْيَا، وَإِنَّا أَصَبْنَا مَا لاَ نَجِدُ لَهُ مَوْضِعًا إِلَّا التُّرَابَ، وَلَوْلاَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَانَا أَنْ نَدْعُوَ بِالْمَوْتِ لَدَعَوْتُ بِهِ» ثُمَّ أَتَيْنَاهُ مَرَّةً أُخْرَى، وَهُوَ يَبْنِي حَائِطًا لَهُ، فَقَالَ: «**إِنَّ الْمُسْلِمَ لَيُؤْجَرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يُنْفِقُهُ، إِلَّا فِي شَيْءٍ يَجْعَلُهُ فِي هَذَا التُّرَابِ**» .

وهذا صحيح موقوفاً عليه.

وكيف لا يقول هذا

وقد أخرج أبو داود بإسنادٍ يحسن إن شاء الله – وقد جوده ابن مفلح الحنبلي – رحمه الله – عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، خَرَجَ فَرَأَى قُبَّةً مُشْرِفَةً فَقَالَ: «**مَا هَذِهِ؟**» قَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: هَذِهِ لِفُلَانٍ رَجُلٍ مِنَ

الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَسَكَتَ وَحَمَلَهَا فِي نَفْسِهِ حَتَّى إِذَا جَاءَ صَاحِبُهَا رَسُولَ الله ﷺ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ فِي النَّاسِ أَعْرَضَ عَنْهُ، صَنَعَ ذَلِكَ مِرَارًا، حَتَّى عَرَفَ الرَّجُلُ الْغَضَبَ فِيهِ وَالْإِعْرَاضَ عَنْهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: وَالله إِنِّي لَأُنْكِرُ رَسُولَ الله ﷺ، قَالُوا: خَرَجَ فَرَأَى قُبَّتَكَ، قَالَ: فَرَجَعَ الرَّجُلُ إِلَى قُبَّتِهِ فَهَدَمَهَا حَتَّى سَوَّاهَا بِالْأَرْضِ، فَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَلَمْ يَرَهَا، قَالَ: «**مَا فَعَلَتِ الْقُبَّةُ؟**» قَالُوا: شَكَا إِلَيْنَا صَاحِبُهَا إِعْرَاضَكَ عَنْهُ، فَأَخْبَرْنَاهُ، فَهَدَمَهَا، فَقَالَ: «**أَمَا إِنَّ كُلَّ بِنَاءٍ وَبَالٌ عَلَى صَاحِبِهِ إِلَّا مَا لَا، إِلَّا مَا لَا**» ..

أي: إلا ما لابد منه لوقاية حرّ، وبرد، وستر عيال، ودفع لص، ونحو ذلك مما لا غنى له عنه.

وأخرج البخاري عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: «رَأَيْتُنِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بَنَيْتُ بِيَدِي بَيْتًا يُكِنُّنِي مِنَ المَطَرِ، وَيُظِلُّنِي مِنَ الشَّمْسِ، مَا أَعَانَنِي عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ الله».

لكونهم لا يلقون لهذا العمل بالًا بالاهتمام.

وفي أمور الثياب:

أخرج مسلم عن عمر ﷺ قال: «.... وإياكم والتَّنَعُّمَ وزيَّ أهلِ الشرك ولبوسَ الحريرِ».

وأما عن جهاز الزواج فنحو من ذلك:

فعلام ينشغل الناس بإعداد أبنية ينصرفون بتشييدها وإعدادها وتزيينها عما خلقهم الله تعالى لأجله من معالي الأمور من نشر الدين والعقيدة الصحيحة التي أرادها الله من عباده، ونشر الوعي بالثقافة الإسلامية، والعلم الشرعي، مع علمهم علم اليقين أنهم سيرحلون عن كل تلك الزخارف ويتركونها؟!

ثالثًا: معيشة النبي ﷺ والصحابة ﷺ كيف كانت؟

في صحيح مسلم قال جابر ﷺ: «بَعَثَنَا رَسُولُ الله ﷺ وَأَمَّرَ عَلَيْنَا أَبَا عُبَيْدَةَ، نَتَلَقَّى عِيرًا لِقُرَيْشٍ، وَزَوَّدَنَا جِرَابًا مِنْ تَمْرٍ لَمْ يَجِدْ لَنَا غَيْرَهُ، فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يُعْطِينَا تَمْرَةً تَمْرَةً، قَالَ: فَقُلْتُ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ بِهَا؟ قَالَ: نَمَصُّهَا كَمَا يَمَصُّ الصَّبِيُّ، ثُمَّ نَشْرَبُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ، فَتَكْفِينَا يَوْمَنَا إِلَى اللَّيْلِ، وَكُنَّا نَضْرِبُ بِعِصِيِّنَا الْخَبَطَ، ثُمَّ نَبُلُّهُ بِالْمَاءِ فَنَأْكُلُهُ، قَالَ: وَانْطَلَقْنَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَرُفِعَ لَنَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ كَهَيْئَةِ الْكَثِيبِ الضَّخْمِ، فَأَتَيْنَاهُ فَإِذَا هِيَ

دَابَّةٌ تُدْعَى الْعَنْبَرَ، قَالَ: قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: مَيْتَةٌ، ثُمَّ قَالَ: لَا، بَلْ نَحْنُ رُسُلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَفِي سَبِيلِ اللهِ، وَقَدِ اضْطُرِرْتُمْ فَكُلُوا، قَالَ: فَأَقَمْنَا عَلَيْهِ شَهْرًا وَنَحْنُ ثَلَاثُ مِائَةٍ حَتَّى سَمِنَّا، قَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا نَغْتَرِفُ مِنْ وَقْبِ عَيْنِهِ بِالْقِلَالِ الدُّهْنَ، وَنَقْتَطِعُ مِنْهُ الْفِدَرَ كَالثَّوْرِ، أَوْ كَقَدْرِ الثَّوْرِ.

وفي صحيح مسلم خطب عتبة بن غزوان رضي الله عنه فقال: إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بِصَرْمٍ وَوَلَّتْ حَذَّاءَ[1]، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ، يَتَصَابُّهَا صَاحِبُهَا، وَإِنَّكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا، فَانْتَقِلُوا بِخَيْرِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الْحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفَةِ جَهَنَّمَ، فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا، لَا يُدْرِكُ لَهَا قَعْرًا، وَوَاللهِ لَتُمْلَأَنَّ، أَفَعَجِبْتُمْ؟ وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الزِّحَامِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا، فَالْتَقَطْتُ بُرْدَةً فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، فَاتَّزَرْتُ بِنِصْفِهَا وَاتَّزَرَ سَعْدٌ بِنِصْفِهَا.

ولقد كان أبو هريرة رضي الله عنه منشغلًا بالعلم وحفظ الحديث وتحمل المشقة

---

(١) أي ذهبت وانتهت مسرعة، ضاع العمر.

والعناء:

ففي الصحيح عنه رضي الله عنه قال: لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنِّي لَأَخِرُّ فِيمَا بَيْنَ مِنْبَرِ رَسُولِ الله ﷺ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ مَغْشِيًّا عَلَيَّ، فَيَجِيءُ الجَائِي فَيَضَعْ رِجْلَهُ عَلَى عُنُقِي[1]، وَيُرَى أَنِّي مَجْنُونٌ، وَمَا بِي مِنْ جُنُونٍ مَا بِي إِلَّا الجُوعُ.

وفي الصحيح عنه قال: إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَلَوْلاَ آيَتَانِ فِي كِتَابِ اللهَّ مَا حَدَّثْتُ حَدِيثًا، ثُمَّ يَتْلُو {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَالهُدَى} [البقرة: ١٥٩] إِلَى قَوْلِهِ {الرَّحِيمُ} [البقرة: ١٦٠] إِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ المُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ، وَإِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلُهُمُ العَمَلُ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَإِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَلْزَمُ رَسُولَ الله ﷺ بِشِبَعِ بَطْنِهِ، وَيَحْضُرُ مَا لاَ يَحْضُرُونَ، وَيَحْفَظُ مَا لاَ يَحْفَظُونَ.

وأما القوت الذي في بيته ﷺ:

فقد قالت عائشة رضي الله عنها لِعُرْوَةَ: ابْنَ أُخْتِي «إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الهِلاَلِ، ثُمَّ الهِلاَلِ، ثَلاَثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ الله ﷺ نَارٌ»، فَقُلْتُ يَا خَالَةُ: مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: «الأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ

---

(١) يظن أنه مصروع من الجن.

قَدْ كَانَ لِرَسُولِ الله ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الأَنْصَارِ، كَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ[١]، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ الله ﷺ مِنْ أَلْبَانِهِمْ، فَيَسْقِينَا.

وها هم مجموعة من الصحابة مع الرسول ﷺ أنهكهم الجوع:

ففي صحيح مسلم عنه قال: خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ - أَوْ لَيْلَةٍ - فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: «**مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟**» قَالَا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ الله،، قَالَ:«**وَأَنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا** ..»، فَقَامُوا مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ..الحديث.

وفي صحيح مسلم عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى، فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، فَقَالَ: «**مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللهُ؟**»، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَنَا، يَا رَسُولَ الله، فَانْطَلَقَ بِهِ

---

(١) أي: حلبة اللبن

إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟

قَالَتْ: لَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، قَالَ: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِ السِّرَاجَ، وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ، فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ، قَالَ: فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «قَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ».

ومن فَرَحهم بالطعام بسبب خفة ما في أيديهم :

ما رواه البخاري عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: إِنْ كُنَّا لَنَفْرَحُ بِيَوْمِ الجُمُعَةِ، كَانَتْ لَنَا عَجُوزٌ تَأْخُذُ أُصُولَ السِّلْقِ، فَتَجْعَلُهُ فِي قِدْرٍ لَهَا، فَتَجْعَلُ فِيهِ حَبَّاتٍ مِنْ شَعِيرٍ، إِذَا صَلَّيْنَا زُرْنَاهَا فَقَرَّبَتْهُ إِلَيْنَا، وَكُنَّا نَفْرَحُ بِيَوْمِ الجُمُعَةِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، وَمَا كُنَّا نَتَغَدَّى، وَلاَ نَقِيلُ إِلَّا بَعْدَ الجُمُعَةِ، وَاللهِ مَا فِيهِ شَحْمٌ وَلاَ وَدَكٌ[1].

وقد أثمر صبر هؤلاء تقدمًا في العلم لتفرُّغهم، كما أثمر نشرًا للسنة والوعي:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «أَنَّ النَّاسَ، كَانُوا يَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَإِنِّي

(١) وهو دسم اللحم ودهنه.

كُنْتُ أَلْزَمُ رَسُولَ الله ﷺ بِشِبَعِ بَطْنِي حَتَّى لاَ آكُلُ الخَمِيرَ وَلاَ أَلْبَسُ الحَبِيرَ، وَلاَ يَخْدُمُنِي فُلاَنٌ وَلاَ فُلاَنَةُ، وَكُنْتُ أُلْصِقُ بَطْنِي بِالحَصْبَاءِ مِنَ الجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لَأَسْتَقْرِئُ الرَّجُلَ الآيَةَ، هِيَ مَعِي، كَيْ يَنْقَلِبَ بِي فَيُطْعِمَنِي، وَكَانَ أَخْيَرَ النَّاسِ لِلْمِسْكِينِ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، كَانَ يَنْقَلِبُ بِنَا فَيُطْعِمُنَا مَا كَانَ فِي بَيْتِهِ، حَتَّى إِنْ كَانَ لَيُخْرِجُ إِلَيْنَا العُكَّةَ [1] الَّتِي لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ، فَنَشُقُّهَا فَنَلْعَقُ مَا فِيهَا».

أخرج البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ، كَانَ يَقُولُ: أَللهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الأَرْضِ مِنَ الجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لَأَشُدُّ الحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الجُوعِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ الله، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ الله، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو القَاسِمِ ﷺ، فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآنِي، وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِي...الحديث.

---

(١) العكة : أي : العلبة.

وفي حاجتهم للزواج ولا يجدون شيئًا:

ما في الصحيحين عن ابن مسعود ﷺ قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ شَبَابًا لاَ نَجِدُ شَيْئًا، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**».

وثيابهم ﷺ قليلة:

أخرج البخاري عن محمد بن المنكدر قال: صَلَّى جَابِرٌ فِي إِزَارٍ قَدْ عَقَدَهُ مِنْ قِبَلِ قَفَاهُ وَثِيَابُهُ مَوْضُوعَةٌ عَلَى المِشْجَبِ(١)»، قَالَ لَهُ قَائِلٌ: تُصَلِّي فِي إِزَارٍ وَاحِدٍ؟، فَقَالَ: «إِنَّمَا صَنَعْتُ ذَلِكَ لِيَرَانِي أَحْمَقُ مِثْلُكَ وَأَيُّنَا كَانَ لَهُ ثَوْبَانِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ».

ونساؤهم كم صبرت على شدة العيش:

أخرج البخاري ومسلم عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ ﷺ، قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي الزُّبَيْرُ، وَمَا لَهُ فِي الأَرْضِ مِنْ مَالٍ وَلاَ مَمْلُوكٍ، وَلاَ شَيْءٍ غَيْرَ نَاضِحٍ وَغَيْرَ فَرَسِهِ، فَكُنْتُ أَعْلِفُ فَرَسَهُ وَأَسْتَقِي المَاءَ، وَأَخْرِزُ غَرْبَهُ

---

(١) المشجب: عيدان تربط رؤوسها وتفرق قوائمها تعلق عليها الثياب.

(١)وَأَعْجِنُ، وَلَمْ أَكُنْ أُحْسِنُ أَخْبِزُ، وَكَانَ يَخْبِزُ جَارَاتٌ لِي مِنَ الأَنْصَارِ، وَكُنَّ نِسْوَةَ صِدْقٍ، وَكُنْتُ أَنْقُلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ الَّتِي أَقْطَعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى رَأْسِي، وَهِيَ مِنِّي عَلَى ثُلُثَيْ فَرْسَخٍ(٢)، فَجِئْتُ يَوْمًا وَالنَّوَى عَلَى رَأْسِي، فَلَقِيتُ رَسُولَ الله ﷺ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنَ الأَنْصَارِ.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها زَوْج النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: جَاءَتْنِي امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ تَسْأَلُنِي، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ، فَقَالَ: «**مَنْ يَلِي مِنْ هَذِهِ البَنَاتِ شَيْئًا، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ، كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ**».

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ

---

(١)الناضح: بعير يستقى عليه.

(أخرز) من الخرز وهو خياطة الخلود ونحوها.

(غربة) الدلو الكبير. **(سياسة الفرس)** ترويضها وتدريبها.

(٢) **على ثلثي فرسخ**: أي من مسكنها بالمدينة وأما الفرسخ فهو ثلاثة أميال والميل ستة آلاف ذراع والذراع أربعة وعشرون إصبعا معترضة معتدلة.

والإصبع: ست شعيرات معترضات معتدلات.

طَعَامٍ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى قُبِضَ» .

وكانوا يُحَرِّمون الستائر على الجدر:

أخرج ابن أبي شيبة بسندٍ ثابت عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ الله بن عمر رضي الله عنه قَالَ: عَرَّسْتُ[1] فِي عَهْدِ أَبِي، فَآذَنَ أَبِي النَّاسَ[2]، وَكَانَ فِيمَنْ آذَنَ أَبُو أَيُّوبَ، وَقَدْ سَتَرْتُ بَيْتِي بِجُنَادِيٍّ أَخْضَرَ، فَجَاءَ أَبُو أَيُّوبَ فَدَخَلَ وَأَبِي قَائِمٌ يَنْظُرُ، فَإِذَا الْبَيْتُ سُتِرَ بِجُنَادِيٍّ أَخْضَرَ، فَقَالَ: أَيْ عَبْدَ اللهِّ، تَسْتُرُونَ الْجُدُرَ؟ فَقَالَ أَبِي وَاسْتَحْيَى: غَلَبَنَا النِّسَاءُ يَا أَبَا أَيُّوبَ، قَالَ: «مَنْ أَخْشَى أَنْ يَغْلِبَهُ النِّسَاءُ فَلَمْ أَخْشَ أَنْ يَغْلِبَنَّكَ، لَا أَطْعَمُ لَكَ طَعَامًا وَلَا أَدْخُلُ لَكَ بَيْتًا» ، ثُمَّ خَرَجَ.

وثم آثار كثيرة أخرى على تحريمهم الستائر على الجدر.

أبشروا يا أهل الفاقة والحاجة والفقر، بسبب طلبكم للعلم والمعالي:

أخرجه الترمذي بسندٍ حسن عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا صَلَّى بِالنَّاسِ يَخِرُّ رِجَالٌ مِنْ قَامَتِهِمْ فِي الصَّلاَةِ مِنَ الخَصَاصَةِ وَهُمْ أَصْحَابُ الصُّفَّةِ حَتَّى تَقُولَ الأَعْرَابُ هَؤُلاَءِ مَجَانِينُ أَوْ مَجَانُونَ، فَإِذَا صَلَّى

(١) عرست: أي تزوجت.

(٢) آذن: أي دعا الناس.

رَسُولُ الله ﷺ انْصَرَفَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: لَوْ تَعْلَمُونَ مَا لَكُمْ عِنْدَ الله لأَحْبَبْتُمْ أَنْ تَزْدَادُوا فَاقَةً وَحَاجَةً قَالَ فَضَالَةُ: وَأَنَا يَوْمَئِذٍ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ .

وهذا حال أهل الصفة وهم في المسجد تفرَّغوا للعلم:

أخرج البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رِدَاءٌ، إِمَّا إِزَارٌ وَإِمَّا كِسَاءٌ، قَدْ رَبَطُوا فِي أَعْنَاقِهِمْ ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ نِصْفَ السَّاقَيْنِ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الكَعْبَيْنِ، فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ، كَرَاهِيَةَ أَنْ تُرَى عَوْرَتُهُ».

والرداء: ما يلبس في أعالي البدن.

والإزار: هو ما يلبس في أسفل البدن.

وأما عن مقدار الصَّدَاق عندَهم :

فالسنة تخفيف الصداق، كان صداق نسائهم مع علو منزلتهن قليلًا.

وأخبارهنَّ كثيرة في ذلك[1].

وهذا بعض أحوال كسرى وقيصر وما كان عندهم من زهرة الحياة الدنيا في ذلك الوقت، ولم يتأثَّر الصحابة بأحوالهم ولا فتنوا بتلك التكلُّفات

---

(١) ذكرنا طرفًا منها في كتابنا«تبصير النساء» قسم النكاح.

فتقدَّم أن عمر ﷺ قال لرسول الله- كما في حديث الإيلاء الطويل :« ادْعُ اللهَ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ يُوَسِّعَ عَلَى أُمَّتِكَ، فَقَدْ وَسَّعَ عَلَى فَارِسَ وَالرُّومِ، وَهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللهَ[(١)] .

ولا تنس حينما عرض على كعب بن مالك ﷺ رسالة من ملك غسان.

ففي الصحيحين لما عوقب كعب بن مالك ﷺ بهجره من قِبَل النبي ﷺ والصحابة ﷺ لتخلفه عن غزوة تبوك وضاقت عليه الأرض بما رحبت فبينما كان يمشي بِسُوقِ المَدِينَةِ، إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّأْمِ، مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ، يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللهُ بِدَارِ هَوَانٍ، وَلاَ مَضْيَعَةٍ، فَالحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ، فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا: وَهَذَا أَيْضًا مِنَ البَلاَءِ،

(١) واليوم الناس في أوربا الملاعق أنواع، والشوك كل واحدة لنوع معين من أنواع الطعام، والسيارات، لكل طلعة سيارة معينة، هذه سيارة رياضية، وهذه سيارة لأجل العمل، وسيارة للفسح... إلخ

فَتيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا.

فلم يتأثَّر بدنياهم ولم يفتن بزخارفها ولم يؤثّر فيه بشيء.

وَحكى شيخ الإسلام أن عند ابن عَائِذٍ أَنَّهُ – يعني كعب بن مالك– شَكَا حَالَهُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَقَالَ: مَا زَالَ إِعْرَاضُكَ عَنِّي حَتَّى رَغِبَ فِيَّ أَهْلُ الشِّرْكِ.

وقد أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ الله ﷺ ، حُلَّةُ حَرِيرٍ، فَجَعَلَ أَصْحَابُهُ يَلْمِسُونَهَا وَيَعْجَبُونَ مِنْ لِينِهَا، فَقَالَ: «**أَتَعْجَبُونَ مِنْ لِينِ هَذِهِ؟ لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنْهَا وَأَلْيَنُ**» قال ذلك حشية أن يتأثَّر بعض المسلمين بزخارف الدنيا التي عجَّل الله لهم بها.

وتلك الحلة من الحرير كانت من عند بعض الكفار كما جاء في بعض طرق الحديث: أَهْدَى أُكَيْدِرُ دُومَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ -يَعْنِي حُلَّةً...

وفي بعض طرق الحديث :بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ جَيْشًا إِلَى أُكَيْدِرَ دُومَةَ، فَأَرْسَلَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ بِجُبَّةٍ مِنْ دِيبَاجٍ مَنْسُوجٍ فِيهَا الذَّهَبُ، فَلَبِسَهَا رَسُولُ الله ﷺ فَقَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ – أَوْ جَلَسَ– فَلَمْ يَتَكَلَّمْ، ثُمَّ نَزَلَ فَجَعَلَ النَّاسُ يَلْمِسُونَ الْجُبَّةَ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **أَتَعْجَبُونَ**

مِنْهَا؟ » قَالُوا: مَا رَأَيْنَا ثَوْبًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « **لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ، أَحْسَنُ مِمَّا تَرَوْنَ** ...

ولا يبعد أن يصح ما ورد أن الْمُغِيرَة بن شعبة لَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ ذَاكَرَ رُسْتُمُ رُؤَسَاءَ قومه في الإسلام فانفوا ذَلِكَ وَأَبَوْا أَنْ يَدْخُلُوا فِيهِ قَبَّحَهُمُ اللهُ وَأَخْزَاهُمْ وَقَدْ فَعَلَ.

قَالُوا: ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِ سَعْدٌ رَسُولًا آخَرَ بِطَلَبِهِ وَهُوَ رِبْعِيُّ بْنُ عَامِرٍ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَقَدْ زَيَّنُوا مَجْلِسَهُ بِالنَّمَارِقِ الْمُذَهَّبَةِ وَالزَّرَابِيِّ الْحَرِيرِ، وَأَظْهَرَ الْيَوَاقِيتَ وَاللَّآلِئَ الثَّمِينَةَ، وَالزِّينَةَ الْعَظِيمَةَ، وَعَلَيْهِ تَاجُهُ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَمْتِعَةِ الثَّمِينَةِ، وَقَدْ جَلَسَ عَلَى سَرِيرٍ مِنْ ذَهَبٍ.

وَدَخَلَ رِبْعِيٌّ بِثِيَابٍ صَفِيقَةٍ وَسَيْفٍ وَتُرْسٍ وَفَرَسٍ قَصِيرَةٍ، وَلَمْ يَزَلْ رَاكِبَهَا حَتَّى دَاسَ بِهَا عَلَى طَرَفِ الْبُسَاطِ، ثُمَّ نَزَلَ وَرَبَطَهَا بِبَعْضِ تِلْكَ الْوَسَائِدِ، وَأَقْبَلَ وَعَلَيْهِ سِلَاحُهُ وَدِرْعُهُ وبيضته عَلَى رَأْسِهِ.

فَقَالُوا لَهُ: ضَعْ سِلَاحَكَ.

فَقَالَ: إِنِّي لَمْ آتِكُمْ، وَإِنَّمَا جِئْتُكُمْ حِينَ دَعَوْتُمُونِي فَإِنْ تَرَكْتُمُونِي هَكَذَا وَإِلَّا رَجَعْتُ.

فَقَالَ رُسْتُمُ: ائْذَنُوا لَهُ، فَأَقْبَلَ يَتَوَكَّأُ عَلَى رُمْحِهِ فَوْقَ النَّمَارِقِ فَخَرَّقَ عَامَّتَهَا، فَقَالُوا لَهُ: مَا جَاءَ بِكُمْ؟ فَقَالَ اللهُ ابْتَعَثْنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللهَّ، وَمِنْ ضيق الدنيا إلى سِعَتِهَا، وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ، فَأَرْسَلَنَا بِدِينِهِ إِلَى خَلْقِهِ لِنَدْعُوَهُمْ إِلَيْهِ، فَمَنْ قَبِلَ ذَلِكَ قَبِلْنَا مِنْهُ وَرَجَعْنَا عَنْهُ، وَمَنْ أَبَى قَاتَلْنَاهُ أَبَدًا حَتَّى نُفْضِيَ إِلَى مَوْعُودِ اللهَّ.

قَالُوا: وَمَا مَوْعُودُ اللهَّ؟ قَالَ: الْجَنَّةُ لِمَنْ مَاتَ عَلَى قِتَالِ مَنْ أَبَى، وَالظَّفَرُ لِمَنْ بَقِيَ.

فَقَالَ رُسْتُمُ: قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكُمْ فَهَلْ لَكُمَ أَنْ تُؤَخِّرُوا هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى نَنْظُرَ فِيهِ وَتَنْظُرُوا؟ قَالَ نَعَمْ! كَمْ أَحَبُّ إليكم؟ يوماً أَوْ يَوْمَيْنِ؟ قَالَ: لَا، بَلْ حَتَّى نُكَاتِبَ أَهْلَ رَأْيِنَا وَرُؤَسَاءَ قَوْمِنَا.

فَقَالَ: مَا سَنَّ لَنَا رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُؤَخِّرَ الْأَعْدَاءَ عِنْدَ اللِّقَاءِ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثٍ، فَانْظُرْ فِي أَمْرِكَ وَأَمْرِهِمْ وَاخْتَرْ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ بَعْدَ الْأَجَلِ، فَقَالَ: أَسَيِّدُهُمُ أَنْتَ؟ قَالَ! لَا: وَلَكِنَّ الْمُسْلِمُونَ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ يُجِيرُ أدناهم على أعلاهم.

فاجتمع رستم برؤوساء قَوْمِهِ فَقَالَ: هَلْ رَأَيْتُمْ قَطُّ أَعَزَّ وَأَرْجَحَ مِنْ

كَلَامِ هَذَا الرَّجُلِ؟

فَقَالُوا مَعَاذَ اللهَّ أن تميل إلى شئ من هذا وتدع دينك إلى هذا الْكَلْبِ، أَمَا تَرَى إِلَى ثِيَابِهِ؟ فَقَالَ: وَيْلَكُمْ لَا تَنْظُرُوا إِلَى الثِّيَابِ، وَانْظُرُوا إِلَى الرَّأْيِ وَالْكَلَامِ وَالسِّيرَةِ.

إِنَّ الْعَرَبَ يَسْتَخِفُّونَ بِالثِّيَابِ وَالْمَأْكَلِ، وَيَصُونُونَ الْأَحْسَابَ.

ثُمَّ بَعَثُوا يَطْلُبُونَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي رَجُلًا فَبُعِثَ إِلَيْهِمْ حُذَيْفَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فَتَكَلَّمَ نَحْوَ مَا قَالَ رِبْعِيٌّ.

وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ حَسَنٍ طَوِيلٍ...وسياق القصة طويلة[1].

(١) لكنى لم أقف لهذه القصة على سند ثابت.

ضرورة الهجرة على من لم يستطع أن يقيم دينه إلى بلاد يستطيع أن يقيم دينه فيها

وقد ذكر الشيخ العثيمين في شرحه كلامًا حسنًا واقعيًّا أرجو إن نقلته برمته مع طوله أن يكون ذلك حسنًا[1]، حيث قَسَّم الإقامة في دار الكفر إلى أقسام، قال:

القسم الأول: أن يقيم للدعوة إلى الإسلام والترغيب فيه، فهذا نوع من الجهاد فهي فرض كفاية على من قدر عليها بشرط أن تتحقق الدعوة، وألا يوجد ما يمنع منها، أو من الاستجابة إليها؛ لأن الدعوة إلى الإسلام من واجبات الدين، وهي طريقة المرسلين، وقد أمر النبي ﷺ بالتبليغ عنه في كل زمان ومكان، فقال ﷺ: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**» كما في «صحيح البخاري» .

القسم الثاني : أن يقيم لدراسة أحوال الكافرين والتعرف على ما هم عليه من فساد العقيدة وبطلان التعبد وانحلال الأخلاق، وفوضوية السلوك؛ ليحذر الناس من الاغترار بهم ويبين للمعجبين

(١) في شرحه لكتاب الأصول الثلاثة (ص٩٧ وما بعدها) وقد بتصرف.

بهم حقيقة حالهم، وهذه الإقامة نوع من الجهاد أيضًا لما يترتب عليها من التحذير من الكفر وأهله المتضمن للترغيب في الإسلام وهديه؛ لأن فساد الكفر دليل على صلاح الإسلام كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء. لكن لابد من شرط أن يتحقق مراده بدون مفسدة أعظم منه، فإن لم يتحقق مراده بأن منع من نشر ما هم عليه والتحذير منه فلا فائدة من إقامته، وإن تحقق مراده مع مفسدة أعظم مثل أن يقابلوا فعله بسب الإسلام ورسول الإسلام وأئمة الإسلام وجب الكف ؛ لقوله تعالى: {وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ الله فَيَسُبُّواْ الله عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} [الأنعام: ١٠٨] ويشبه هذا أن يقيم في بلاد الكفر ليكون عينًا لمصلحة الإسلام والمسلمين.

وقد أرسل النبي ﷺ حذيفة بن اليمان إلى المشركين في غزوة الخندق لمثل هذا كما في «صحيح مسلم» (١٧٨٨).

القسم الثالث: أن يقيم لحاجة الدولة المسلمة وتنظيم علاقاتها مع دول الكفر كموظفي السفارات، فحكمها حكم من أقام من أجله.

فالملحق الثقافي مثلًا يقيم ليرعى شؤون الطلبة ويراقبهم ويحملهم على التزام دين الإسلام وأخلاقه وآدابه فيحصل بإقامته مصلحة كبيرة ويندرئ بها شر كبير.

القسم الرابع: أن يقيم لحاجة خاصة مباحة كالتجارة والعلاج فتباح الإقامة بقدر الحاجة، وقد نص أهل العلم -رحمهم الله- على جواز دخول بلاد الكفر للتجارة، وآثروا ذلك عن بعض الصحابة رضي الله عنهم، يعني للضرورة التي تقدر بقدرها.

القسم الخامس: أن يقيم للدراسة، وهي من جنس ما قبلها إقامة لحاجة، لكنها أخطر منها وأشد فتكًا بدين المقيم وأخلاقه، فإن الطالب يشعر بدنو مرتبته وعلو مرتبة معلميه، فيحصل من ذلك تعظيمهم والاقتناع بآرائهم وأفكارهم وسلوكهم فيقلدهم إلا من شاء الله عصمته، وهم قليل، ثم إن الطالب يشعر بحاجته إلى معلمه فيؤدي ذلك إلى التودد إليه ومداهنته فيما هو عليه من الانحراف والضلال، والطالب في مقر تعلمه له زملاء يتخذ منهم أصدقاء يحبهم ويتولاهم ويكتسب منهم.

ولأجل خطورة هذا القسم وجب التحفُّظ فيه أكثر مما قبله ففيه شروط زائدة:

* **الشرط الأول:** أن يكون الطالب على مستوى كبير من النضوج العقلي الذي يميز به بين النافع والضار، وينظر به إلى المستقبل البعيد فأما بعث الأحداث (صغار السن) وذوي العقول الصغيرة فهو خطر عظيم على دينهم، وخلقهم وسلوكهم، ثم هو خطر على أمتهم التي سيرجعون إليها وينفثون فيها من السموم التي نهلوها من أولئك الكفار كما شهد ويشهد به الواقع، فإن كثيرًا من أولئكم المبعوثين رجعوا بغير ما ذهبوا به، رجعوا منحرفين في دياناتهم وأخلاقهم وسلوكهم، وحصل عليهم وعلى مجتمعهم من الضرر في هذه الأمور ما هو معلوم مشاهد، وما مثل بعث هؤلاء إلا كمثل تقديم النعاج للكلاب الضارية[1].

* **الشرط الثاني:** أن يكون عند الطالب من علم الشريعة ما يتمكن به من التمييز بين الحق والباطل، ومقارعة الباطل بالحق لئلا ينخدع

(١) واضرب لذلك طه حسين وقاسم أمين وأضرابَهما.

بما هم عليه من الباطل فيظنه حقًّا، أو يلتبس عليه أو يعجز عن دفعه فيبقى حيران أو يتبع الباطل...

* **الشرط الثالث**: أن يكون عند الطالب دين يحميه ويتحصن به من الكفر والفسوق، فضعيف الدين لا يسلم مع الإقامة هنالك إلا أن يشاء الله، وذلك لقوة المهاجم وضعف المقاوم، فأسباب الكفر والفسوق هناك قوية وكثيرة ومتنوعة، فإذا صادفت محلًّا ضعيف المقاومة عملت عملها.

* **الشرط الرابع**: أن تدعو الحاجة إلى العلم الذي أقام من أجله بأن يكون في تعلُّمه مصلحة للمسلمين، ولا يوجد له نظير في المدارس في بلادهم، فإن كان من فضول العلم الذي لا مصلحة فيه للمسلمين أو كان في البلاد الإسلامية من المدارس نظيره لم يجز أن يقيم في بلاد الكفر من أجله؛ لما في الإقامة من الخطر على الدين والأخلاق، وإضاعة الأموال الكثيرة بدون فائدة... نعود إلى:

* **القسم السادس**: أن يقيم للسكن، وهذا أخطر مما قبله وأعظم؛ لما يترتب عليه من المفاسد بالاختلاط التام بأهل الكفر وشعوره بأنه

مواطن ملتزم بما تقتضيه الوطنية من مودة وموالاة وتكثير عاداتهم، وربما قلدهم في العقيدة والتعبُّد[١].

وكيف تطيب نفس مؤمن أن يسكن في بلاد كفار تعلق فيها شعائر الكفر ويكون الحكم فيها لغيرالله ورسوله، وهو يشاهد ذلك بعينه ويسمعه بأذنيه ويرضى به، بل يُنسب إلى تلك البلاد ويسكن فيها بأهله وأولاده ويطمئن إليها كما يطمئن إلى بلاد المسلمين مع ما في ذلك من الخطر العظيم عليه وعلى أهله وأولاده في دينهم وأخلاقهم، هذا ما توصلنا إليه في حكم الإقامة في بلاد الكفر، نسأل الله أن يكون موافقًا للحق والصواب[٢].

بل تجد في كثير منهم انهزامية نفسية، وعدم اعتزاز بالمباديء والقيم الإسلامية التي ربما تربَّى هو عليها في بلده التي نشأ فيها.

وتجده منخرطًا ذائبًا في هذا المجتمع لا تكاد تميِّز بينه وبين المنحل

---

(١) وقد حصل هذا من بعض لاعبي الكرة وبعض من ذهب يرتزق في هذه البلاد، فإذا به تأثر بهم في طباعهم لضعف المحل وقوة المهاجم بالطباع.

(٢) راجع كتابنا «توفيق الكفيل شرح ثلاثة الأصول» ص ٢٦٦

الكافر في طباعه وسمته ودلِّه وما يحرص عليه..إلخ.

فلا تجده يدعو الناس لفضائل ومحاسن دين الإسلام كصلة الرحم، والإحسان إلى الجيران من أي ملَّة كان، والمحافظة على حرمته، والإحسان إلى الأصحاب والأصدقاء، وبر الوالدين وعطف الآباء على الأبناء والعكس، والاجتماع وعدم الفرقة، والتآلف بين أطياف المجتمع والتواد بينهم والتعاون على الخير، والتعاطف بين المسلمين، والبشاشة في الوجه. وحفظ رعاية الغائب، والزهد في الدنيا وسفاسفها، ونبذ التميُّز العرقي والعصبية الجاهلية... وغير ذلك من القيم الرفيعة القيمة، التي من شأنها متى رآها الكُفَّار حتى ولو كانت بين المسلمين وبعضهم فقط دخل الناس في دين الله أفواجًا بسببها، ولسارعوا في التعرُّف على مَحاسن هذا الدين وقيمه الرفيعة للتمسُّك بها، فإن البونَ شاسع بين أخلاق الإسلام وقادتهم وبين ما عليه الكفار وقادتهم.

فصل في التعليق على كثرة دخول الأعاجم في الإسلام

هناك دعاوي عن إحصائيات واسعة أن أعدادًا كبيرة من الأعاجم يدخلون دين الإسلام.

والسبب في هذا يرجع إلى خواء عقيدتهم اليهودية أو النصرانية، أو الهندوسية، أو البوذية.... تلك العقائد الممزَّقة التي لا تستند إلى منطق العقل، وهي مليئة بالظلم والظلمات، فما يرغب في البقاء عليها من له أدنى مسحة من عقل فضلًا عمن يحب منهم أن يعتنق دينًا.

فمن أحب أن ينظر إلى دين صحيح يتبعه فلا ولن يجد- والله - أفضل من دين الإسلام لكثرة محاسنه وصحة عقيدته، وتوافقه مع العقل السليم الصحيح، وكريم الأخلاق التي يأمر بها، وكثير منها تراها على بعض أتباعه، وعظمة تشريعاته، وفوق كل ذلك عدم الاختلاف الكثير والتضارب الذي نفاه الله تعالى عنه فقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ النساء. فيستحيل أن تجد هذا الاختلاف والتناقض في دين الإسلام ولا في القرآن ولا في السنة أبدًا بحال.

أضف إلى ذلك كثرة الظلم والظلمات الذي عند اليهود والنصاري ، وغيرهم من استضعاف بعض الشعوب والاعتداء عليهم، والانحياذ للظالم، والحيدة عن الحق بتعسّف كما يحصل في مَواقفهم نحو

إسرائيل بشأن فلسطين المحتلة، وإجرامهم في الفتك بهم خيَّب الله سعيهم، وأمريكا نحو احتلال العراق وسوريا ونهب ثرواتهم بلادهم، وانظر موقف أوربا وأمريكا من احتلال إسرائيل لأرض فلسطين ظلمًا وعدوانًا، وحلف الناتو الأوربي نحو ليبيا يوم أن دمَّروا جيشها عند خروج الخوارج على رئيسها القذَّافي، وهم على العكس في موقفهم من روسيا في حربها لأوكرانيا، تراهم في رعب منها من روسيا.

وكثير من بني آدم متى أمِنوا العقاب أساءوا الأدب.

فمع الضعيف : يحتلون أرضه، وينهبون ثروات شعبه، ويعتدون على حرمات المستضعفين فيه.

وأما مع القوي: فيحترمونه وترعبهم قوته، ويعملون له ألف حساب.

فأفعالهم تلك تُكرِّه من يعيشون في تلك البلاد في دينهم فينخلعون منه وتمنع من هم على هذا الدين من الثبات على دينهم، وتزهِّدهم فيه .

فبأقل نظرة نحو الحق والخير والفضل يُعلم بطلانها فينسلخ الناس من دينهم ويعتنق الكثير منهم الإسلام من غير عكس.

ولكن سرعان ما يتبدد نشاط هذا المسلم الجديد، لجهله بالدين

وضعف الثقافة الإسلامية عنده وانحراف من اتخذه أسوة.

والعلاج : هو بمراعاة الأسباب المتقدمة، والنشاط في تعريف المسلم الجديد بدينه وتثقيفه فيه، وعدم الحيلولة بينه وبين معرفة أصول دينه، ومساعدته: بمراعات شؤُونه، وتأليف قلبه، ومعاونته على الثبات، وإلا فلربما رأيت بعضهم يرتد عن دينه سخطة له بعد أن يدخل فيه ظاهرًا، بسبب سلوك المسلمين، وبالله التوفيق[1].

هذا وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك،وصل اللهم وسلم وبارك على محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

كتبه/ أبو يحيي محمد بن عبده

---

(١) ولقد سأل هرقل أبا سفيان بن حرب – وهو كافر – عن رسول الله ﷺ وأتباعه فقال له:« فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ قُلْتُ: لاَ ... وقال له هرقل: وَسَأَلْتُكَ أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ، فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ القُلُوبَ...الخبر» أخرجه البخاري ومسلم .

الفهرس

مقدمة ٥
حالة البشرية بغير دين ١١
خطورة تأخُّر العلم والثقافة الدينية في المجتمعات ٣٥
الوقاية التي جعلها الخالق سبحانه في شريعته خشية الانخراط في ٣٨
من سُبُل الوقاية من أفكار الكفار المنحرفة في تلك البلاد ٤٠
جدول توضيحي يبين وجوه الشَّبه بين طبائع ومعاملات وأخلاق الجاهلية قبل الإسلام
مما وضعه النبي غ كله تحت قدمه، وما عليه أوربا وبلاد الأعاجم الآن..... ٢٢
من أدلة المخالفة للكفار في طباعهم وتزيُّنهم ومراسمهم ٤٢
الأمر بمخالفة المشركين في أنفسهم. ٤٢
شهادة المشركين بتعليم النبي ﷺ للصحابة كل شيء ٤٧
من الوقاية من العمل كعملهم معرفة حسد المسلمين على ما آتاهم الله من فضله ... ٤٨
تحذير النبيغ من الاغترار بما عند الكفار..... ٥١
أسباب تأخر العلم والثقافة الإسلامية في أوربا وغيرها من بلاد ٦٥
أولًا: قلَّة العلماء في تلك البلاد بلاد الأعاجم ٦٥
ومعالجة هذا السبب ٧١
من المعالجة أيضًا: الاطلاع على أحوال السلف من الصحابة رضي الله عنهم ٧٢
١-ضماد الأزدي رضي الله عنه ٧٢
٢- أبو ذر الغفاري رضي الله عنه ٧٤

٣- وأخوه أنيس الغفاري رضي الله عنه ٧٦
٤ - ثمامة بن أثال رضي الله عنه ٧٧
ثالثًا: كثرة المعاصي في تلك البلاد تحرم النفع والبركة والهدى..... ٧٩
والعلاج من ذلك بالإقلاع عن المعاصي والتخلُّص من آثارها..... ٨٠
ومن أسباب تأخُّر العلم : الكسل عن العبادات والطاعات، وطلب العلم والتفقه في الدين، وكثرة الانشغال بالملهيات..... ٨٠
وعلاج ذلك بالتوبة النَّصُّوح، والإقلاع عن المعاصي، وكثرة الاستغفار والقيام بأسباب التخلص من الذنوب أول بأول..... ٨١
رابعًا:التعسُّف في محاربة المستقيمين، وطلاب العلم في هذه البلاد..... ٨١
وقد أرشدت الآية والحديث إلى ذلك ٨٤
تنبيه للمستقيمين في بلاد الأعاجم أن يجتمعون باستمرار على مجالس العلم والمصادقة والمؤانسة بينهم. ٨٦
بيان أن جميع أفكار الخوارج والجماعات الحزبية من شأنها أن تكون ذرائع لتعسُّف الكفار في التعامل مع المسلمين..... ٨٨
أفكار الصوفية والروافض بخرافاتهم واعتقاداتهم المزيَّفة على الإسلام من شأنها أن تكون سبب التعسف من قبل المسئولين، وتضييقًا على المسلمين ٨٩
خامسًا: من أسباب تأخر وصول العلم والثقافة الدينية في بلاد أوربا وغيرها من بلاد الأعاجم ظهور مثالب فيمن يعتنقون الإسلام. ٩٤
بيان مثالب المسلمين في تلك البلاد..... ٩٤

الانخراط فيما هو شائن في دينهم، وعدم التمسُّك بمحاسن دين الإسلام العظيم، فلا يرى على كثير من أتباعه التخلَّق بأخلاقه..... ٩٤
عدم استمساك أتباع هذا الدين بدينهم، والإشادة بمحاسنه ٩٥
ومن مثالبهم: عدم دعوة المسلمين الناس لفضائل ومحاسن دينهم دين الإسلام كصلة الرحم، والإحسان إلى الجيران ٩٦
خامسًا: عدم ارتباط المسلمين والمسلمات بمنهج دراسي شرعي يمكِّنهم من التعرُّف على تعاليم الإسلام، والثقافة الدينية ٩٩
بيان مهم من سيرة النبي ﷺ.....١٠٠
عدم توقف النبي ﷺ عن تعليم الناس في أيام الحج ١٠١
في غزوة خيبر أيضًا.....١٠٣
وفي غزوة خيبر يعلمهم شيئًا من المعتقد ١٠٤
وفي يوم خيبر يعلمهم أحكاماً عملية تتعلَّق بالبيوع ١٠٥
وفي غزوة أخرى تعليم آخر.....١٠٦
ضرورة أن يكون هذا الموجِّه على السُّنة لا يقبل توجيه أي أحد ١٠٩
معوقات اتخاذ أسباب نشر العلم والثقافة الدينية.....١١١
عدم الثبات في طلب العلم والتعلم وحضور مجالس العلماء ١١٥
عدم اتخاذ أسباب نشر العلم والثقافة الإسلامية في أوربا وبلاد الأعاجم.....١١٦
فصل مهم في أحوال معيشة الصحابة رضي الله عنهم ١٢٤
أولًا أشكال بيوت زوجات النبي ﷺ ١٢٤

قدر ارتفاع بيت النبي ١٢٧
ثانيًا: أشكال أبنية مساكن الصحابة ﷺ ١٢٧
ثالثًا: معيشة النبي ﷺ والصحابة ﷺ كيف كانت ١٣٢
كان أبو هريرة ﷺ منشغلًا بالعلم وحفظ الحديث وتحمل المشقة والعناء مع فقره ١٣٣
ثمرة صبر هؤلاء تقدُّمًا في العلم لتفرُّغهم، كما أثمر نشرًا للسنة والوعي ١٣٦
كانوا مع حاجتهم للزواج لا يجدون شيئًا ١٣٨
حال أهل الصفة وهم في المسجد متفرغون للعلم ١٤١
مقدار الصداق عندهم ١٤١
ضرورة الهجرة على من لم يستطع أن يقيم دينه في هذه البلاد إلى بلاد يستطيع أن يقيم دينه فيها ١٤٧
فصل في التعليق على كثرة دخول الأعاجم في الإسلام ١٥٣
الفهرس ١٥٧